الأرض المحظورة
رواية
صلاح زكي

الأرض المحظورة

رواية

تأليف

صلاح زكي

عنوان الكتاب: الأرض المحظورة

الموضوع: روايـــــة

تأليف: صلاح زكي

تدقيق لغوي: أسماء محمد عبدالحميد

تصميم غلاف: عائشة عمارة

رقم الإيداع بالدار : 2026/0539

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-45-1-260516

الناشر:

أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

alkatebacademyforpublishing@gmail.com

01112357473

مصر

الأرض المحظورة

رواية

تأليف

صلاح زكي

٢٠٢٦

دار الأكاديمية العالمية للنشر الإلكتروني

إهداء

إلى من كتبت هذه الرواية من أجلهم
ليكونوا في عالم أفضل

إلى زوجتي الحبيبة
إلى أبنائي الأعزاء
عبدالرحمن
عمار
رقية

ارتفع رنين الهاتف بصوت هادر كألف مطرقه تنزل على رأس ‘‘أحمد’’ الذي نهض من فراشه متبرما ،وهو ينظر إلي شاشة هاتفه فيجد اسم رئيسه المباشر في العمل فلم يرد عليه ،وانتظر حتى انتهى صوت الهاتف لينهض من فراشه متجها إلي دورة المياه دون أن يبالي بصوت الهاتف المزعج الذي عاد يهدر مرة أخرى كقطار يسير إلي وجهته دون توقف.

انتهى ‘‘أحمد’’ وخرج من دورة المياه ،والتقط الهاتف ليتصل بمديره الذي بدء في إعادة الكلمات التي حفظها ‘‘أحمد’’ عن ظهر قلب بضرورة اهتمامه بالرد على اتصال رئيسه المباشر فذلك من الاحترام له مهما كانت المبررات.

أستمع ‘‘أحمد’’ بتبرم شديد ودون اهتمام لمديره حتى انتهى من كلامه الكثير والذي لم يخرج منه ‘‘أحمد’’ بشيء سوى ضرورة الحضور فورًا إلى محل عمله لأمر هام وعاجل جدًا.

****

أثناء سير ‘‘أحمد’’ بسيارته إلى مقر الشركة التي يعمل بها تذكر حياته الماضية وما بها من احباطات كثيرة ،فقد تخرج من كلية الهندسة قسم حاسبات ،وتخصص في مجال البرمجيات ،أتقنها وأحبها لكنه فوجئ بعدم حاجة سوق العمل لهذا التخصص الدقيق برغم ما يسمعه ليل نهار عن تحول الدولة إلي دولة رقمية ومعلوماتية حتي انتهي به الحال للعمل في شركة تعمل بمجال مولدات الطاقة الكهربائية في وظيفة لا تمت لمجال تخصصه في البرمجيات بأي صلة.

أين كنت يا باشمهندس، أنا في انتظارك منذ أكثر من ساعتين

انتبه ‘‘أحمد’’ لنفسه وهو واقف أمام باب مكتب رئيسه المباشر دون أن يدري متى وصل إلى مقر عمله وصوت مديره وهو يؤنبه على تأخيره الذي اعتاد عليه.

استعد ‘‘أحمد’’ لتلقي المحاضرة التي اعتاد سماعها والتي يحفظها عن ظهر قلب بضرورة تقديس وقت العمل وأن سبب النجاح الأول هو النظام والانضباط ،لكنه لم يسمع شيء من ذلك إنما أسرع المدير بتوجيه الكلام إليه قائلًا: ‘‘أحمد’’ أنا في احتياج إليك في عمل هام، ‘‘فوزي’’ زميلك أصيب في حادث سيارة ولابد من مهندس آخر من متابعة عمل وأداء مولدات الكهرباء الجديدة بشركة الإسمنت ب ‘‘الإسكندرية’’

ودون انتظار موافقة أو رفض من ‘‘أحمد’’ فوجئ ‘‘أحمد’’ بسيل من التعليمات والأوامر التي يجب عليه تنفيذها هناك.

وانتهى كلام المدير بتحديد موعد سفر ‘‘أحمد’’ إلى ‘‘الإسكندرية’’ لاستكمال العمل هناك وهو لا يدري أن سفره هذا ربما أبعد بكثير من المسافة التي بين ‘‘القاهرة’’ و ‘‘الإسكندرية’’ بل ربما تكون خارج حدود كوكب الأرض نفسه.

****

أخذ ‘‘أحمد’’ يسب ويلعن مديره وشركته وحظه العاثر الذي جعله يسافر إلى ‘‘الإسكندرية ‘‘ في هذا الطقس السيء والجو العاصف الذي لا تنتهي عواصفه .
استطاع ‘‘أحمد’’ بالكاد الرؤية أمامه بصعوبة رغم مساحات المياه التي لم تستطع التخلص من هذا الكم الهائل من مياه المطر، وازداد توتره بعد أن بدء صوت محرك السيارة يعربد كأنه هو الآخر يعترض علي سيره في هذا الطقس السيء .

بدء ‘‘أحمد’’ ينظر بتوتر شديد إلى الطريق الصحراوي الممتد أمامه بلا نهاية ،والذي خلا من أي أثر للحياة تحسبًا لحدوث أي طارئ يضطره للوقوف وطلب المساعدة، وفجأة أثناء اجتيازه لأحد المطبات الصناعية حدث برق شديد أعقبه بعد قليل من الوقت صوت رعد رهيب مما جعل ‘‘أحمد’’ يرتجف في مكانه على الرغم منه، ليفاجئ أمامه بأغرب ظاهرة طبيعية رآها في حياته الخالية من أي شيء يدعو للإثارة.

فجأة وجد كأن عامود ضوء ينزل من السماء إلى الأرض على أثر البرق الشديد الذي حدث ،وكأن المقاومة الكهربائية في الوسط الهوائي بين السماء والأرض قد انعدمت تمامًا لتصير صفر فينزل شلال من التيار الكهربي يظل متصلا بين السماء والأرض أشبه بصاعقة دائمة وليست لجزء من الثانية كأي صاعقة تحدث مخالفة بذلك كل الظواهر الطبيعية والحقائق العلمية التي درسها ويعرفها عن الصواعق.

فتح ‘‘أحمد’’ فمه بذهول شديد وهو ينظر إلى البوابة الضوئية التي ظهرت أمامه في نهاية هذا العامود الضوئي واستجمع قواه محاولًا كبح جماح سيارته بالضغط علي الفرامل دون جدوي ،فأخذ يردد دون انقطاع كلمة (مستحيل...مستحيل)، لعلمه بمخالفة هذه الظاهرة لكل ما يعرفه من حقائق علمية حول ظاهرتي الرعد والبرق.

حاول ‘‘أحمد’’ كبح جماح سيارته دون جدوى كأن قوة مغناطيسية هائلة تجذبها لداخل الفجوة الضوئية كما يحدث في أفلام الخيال العلمي ؛ليجد سيارته تدور حول نفسها أكثر من مرة وهي تنجذب إلى الفجوة الضوئية ثم تنقلب رأسا علي عقب لتصطدم بأرض صخرية مخلفة ورائها كم هائل من الغبار.

كان هذا هو آخر ما رآه ‘‘أحمد’’ قبل أن تظلم الدنيا أمامه ويسقط في غيبوبة عميقة .

****

أفاق ‘‘أحمد’’ من غيبوبته العميقة على أثر صدمة من الماء البارد أصابته في وجهه من دلو معدني بيد رجل يقف أمامه ناظرًا إليه نظرات قاسية تنم عن شخصية الرجل المتعطشة لإلحاق الضرر بمن حوله دون أي أسباب لذلك.

نظر إليه ‘‘أحمد’’ بدهشة بالغة وانتبه إلى الغرفة التي يجلس بها وهو مقيد اليدين والقدمين على كرسي خشبي فأدار بصره في أرجاء الغرفة الصغيرة التي تشبه غرف الاستجواب في الأفلام القديمة التي تنتمي لفترة الستينيات من القرن الماضي ،ثم ركّز بصره على الرجل الواقف أمامه وسأله سؤال واحد:

- أين أنا؟

فوجئ ‘‘أحمد’’ بصفعة قاسية تنزل على وجهه ،والرجل يرد عليه قائلًا بقسوة مبالغ فيها:

- أنا الذي يسأل هنا وليس أنت.

ثم جلس الرجل على كرسي في مقابلته مستأنفًا كلامه بقوله:

- كيف وصلت إلى الأرض المحظورة؟ وما هذه العربة غريبة الشكل التي كنت جالسا فيها؟

ثم سأله بغلظة:

- هل أنت منتمي للمتمردين؟

فوجئ ‘‘أحمد’’ بهذا الكم الهائل من الأسئلة الموجهة إليه وأصابته الدهشة الشديدة من طريقة كلام الرجل وذكره لهذه الأشياء الغريبة مثل المتمردين والأرض المحظورة فنظر إليه ‘‘أحمد’’ باستغراب قائلًا:

- أنا لا أفهم ماذا تقصد من كل هذا الكلام ؟ولا أعرف أي شيء عن هذه الأرض المحظورة ولا من هم هؤلاء المتمردين الذين ذكرتهم ولا أعرف

فوجئ ‘‘أحمد’’ بصفعة شديده تنزل على وجهه للمرة الثانية من الرجل الواقف أمامه ثم أعقبها بلكمة أشد من أختها سالت على أثرها الدماء من فم ‘‘أحمد’’ فنظر ‘‘أحمد’’ بغل شديد وغضب إلى الرجل الواقف أمامه فلم يمهله الرجل الوقت الكافي ليلتقط أنفاسه أو اتخاذه

لأي رد فعل إنما عاجله بضربة أشد من أختها نزلت على وجهه الغارق في الدماء فسقط في غيبوبة عميقة.

****

علي قمه جبل شامخ يقف قصر عظيم تحيط به أسوار عالية من كل الجوانب، أسفل هذه الأسوار يقف حراس مدججين بالسلاح ،بينما تدور سيارات على فترات منتظمة كأنها دورية للمراقبة حول أسوار هذا القصر ،مانعة دخول أي أحد لهذا القصر حتى أنه يخيل إليك لو حاولت ذبابة دخول القصر لمنعها الجنود المحيطين به من الدخول.
داخل هذا القصر جلس رجل تبدو عليه علامات العظمة والخيلاء بما يرتديه من ملابس مزركشة وأساور الذهب التي تحيط بمعصميه واتكأ على مسند عرشه المطعم بالذهب وهو يقول بغضب شديد لمن يقف أمامه:
- كيف فشلت في معرفة طريقة دخول هذا الرجل الغريب إلى الأرض المحظورة؟
فرد عليه الرجل الواقف أمامه وهو يرتعد من الخوف أمام غضب ملكه:
- جلالتك، لقد حاولنا معه بكل السُبل وكل طرق التعذيب ولكنه يصر على أنه لا يعلم شيء عن الأرض المحظورة ولا كيف دخل إليها.
وجه إليه الملك نظرة نارية قائلًا باستنكار وغضب:
- ذلك لأنكم فاشلون.
ثم أردف بعظمة وكبرياء تدل على مدى الغرور الموجود بداخله:
- أحضروا هذا الغريب هنا وسوف أعلمكم طريقة استخلاص المعلومات من المتمردين.
فتكلم الرجل بصوت خافت خوفًا من إغضاب الملك:
- لقد أنكر جلالتكم علاقته بالمتمردين ويصر على أنه لا يعرف أي شيء عنهم.

فصرخ فيه الملك بغضب واستنكار:
- وهل تنتظر منه أن يعترف بهذه التهمة بالسهولة التي تتخيلها، لابد أن ينكر ذلك، فهذه التهمة عقوبتها الإعدام.
ثم أردف الملك بصوت خافت فيه نبرة خوف:
- ألم تعرفوا كيف دخل الأرض المحظورة، أو تحديد الثغرة الأمنية التي اخترقها لبلوغ الأرض المحظورة.
فتمتم الرجل بكلمات خافتة علامة نفيه معرفة كيفية دخول "أحمد" إلى الأرض المحظورة دون أن ينتبه له أحد
فصرخ فيه الملك: أذهب الأن وأحضره لي فورًا
فأسرع الرجل الخُطى كأنه يجري خوفًا من أن يناله شيء من غضب الملك وهربًا من أي مواجهة مع الملك الغاضب.

****

في مكان مقفر تحيط به الجبال من كل جانب يقف رجل بدين بتحفظ شديد كأنه مسؤول عن نوبة حراسة في هذا المكان ثم نظر بترقب إلى القادم إليه من بعيد والذي ما أن رآه وتعرف عليه حتى لانت ملامحه وهو يرد عليه تحيته التي ألقاها عليه القادم ثم أسرع بالكلام قائلًا له: - الرفاق في انتظارك من وقت طويل، ما الذي جعلك تتأخر هكذا عليهم ؟
فرد عليه الرجل القادم:
- فرق الحراسة الخاصة بالملك الطاغية تملئ كل مكان وكأن الحرب على الأبواب، ثم التفت إليه بإرهاق شديد وهو يقول: طوال هذا الوقت وأنا أحاول الابتعاد عن مراكز تجمع الحرس.
ودون انتظار أي كلام آخر اشتركا معًا في إزالة أغصان وأفرع أشجار يابسة كاشفة خلفها لما يشبه ممر سري يقود إلى ممر آخر ينتهي هذا الممر بفتحة ضيقه في أحد الجبال على ما يبدو من شكل هذه الفتحة أنها مغارة في قلب هذا الجبل.
داخل هذه المغارة عقد اجتماع لبضعة رجال ملتفين حول رجل يبدو من هيئته أنه زعيمهم وبمجرد دخول زميلهم القادم عليهم التفتوا إليه

بانتباه شديد فألقى عليهم التحية ثم بدأ الحديث بانفعال شديد وهو يقص عليهم ما حدث مع ‘‘أحمد’’ داخل غرفة التحقيق وكأن هذا الرجل يعمل داخل مقر التحقيق أو على علاقة اتصال قوية بأحد أفراد الفئة التي تقوم بالتحقيق مع ‘‘أحمد’’ والتي ألقت القبض عليه

وجه زعيم المجموعة الكلام له قائلًا:

- من كلامك يتضح عدم حصولهم على أي معلومة واضحة بخصوص ظهور هذا الرجل الغريب في الأرض المحظورة واختراقه لكل أنظمة الأمن المحيطة بها

الرجل: نعم والأغرب من ذلك صموده أمام كل طرق التعذيب التي مارسوها معه

ثم صمت قليلًا واستكمل كلامه بقوله:

- المحير في هذا الأمر هو الظهور المفاجئ لهذا الغريب داخل الأرض المحظورة فطوال هذه السنين التي مضت منذ أستبد هذا الملك الظالم بالحكم والمجتمع كله منقسم إلى قسمين الحاكم وحاشيته من جهة ،والمقاومة التي نمثلها نحن من جهة أخرى، فلمن يا تُرى ينتمي هذا الغريب؟

أحد الرجال اشترك في الحديث قائلًا:

- إذا حصلنا على هذا الرجل وعرفنا منه كيفية دخوله الأرض المحظورة ،فإننا بذلك نضع قدمنا على أول طريق للنصر والقضاء على ظلم الملك.

بدأ رجل آخر الكلام بحماس أشد:

- إذا استطعنا اختراق الحواجز المحيطة بالأرض المحظورة وسيطرنا عليها، نستطيع بسهولة إسقاط الملك الظالم وإنقاذ كل المظلومين الواقعين تحت قبضته والانتقام لكل الضحايا الذين سقطوا طوال هذه السنين.

فنظر الزعيم إلى الأرض مفكرًا ،ثم رفع رأسه والتفت إلى الرجل القادم قائلًا له:

- متى سيتم ترحيل الرجل الغريب إلى مقر الحكم؟

الرجل بحزم:

- غدًا
فبدأت خيوط الخطة تتشابك في رأس الزعيم.

****

فوجئ ‘‘أحمد’’ بمن يوقظه بالقوة من فوق أرض الزنزانة التي تمدد عليها ونام فوقها نوم متقطع لم يستطع فيه أن يهنأ بأي راحة رغم تعب جسده كله بعد جلسة التحقيق الصعبة التي واجه فيها ألوان الضغط والتعذيب سواء البدني أو النفسي.
- تحرك بسرعة فلا يوجد أمامنا وقت كافي
خرجت هذه الجملة بقسوة وغلظة من فم الجندي المكلف باصطحاب ‘‘أحمد’’ إلى حيث سيتم نقله إلى مقر الملك ليستجوبه بنفسه فحاول ‘‘أحمد’’ الاستفسار منه عن الوجهة التي هم ذاهبون إليها
لكن الرجل لم يرد عليه بأي كلمة أخرى غير ما تفوه به
اضطر ‘‘أحمد’’ أن يسير مع هذا الجندي مستسلمًا وهو يفكر بحيرة ودهشة شديدة في وضعه الصعب الذي أصبح فيه
وتساءل بينه وبين نفسه أين هو الآن؟
فبرغم كونهم يتحدثون باللغة العربية إلا أن اللهجة الغريبة التي يتكلم بها كل من حوله تظهر له أنه ليس في مصر وكذلك الملابس والمباني المحيطة به تبين أنه في مكان غريب عنه وبدأ يفكر في حيرة، فقد كان يسير بسيارته في طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوي حتى حدثت أمامه هذه الظاهرة الغريبة ، والتي تخالف كل القواعد العلمية ليفاجئ بنفسه في هذا المكان الغريب ،ودون أن يدري ظهرت أمام عينه أحداث خيالية لم يكن يتوقع حدوثها على أرض الواقع مثلها تمامًا مثل المشاهد التي كان يشاهدها ويقرأ عنها في أفلام الخيال العلمي والروايات الخيالية التي أدمن قراءتها في صباه.
وبدأت تظهر في رأسه عشرات الأسئلة المحيرة والنظريات الخيالية عن السفر عبر الزمن والانتقال عبر الأبعاد والثقوب السوداء والممرات الدودية التي تربط أجزاء الكون ،حتى قطع سيل أفكاره

الجندي وهو يدفعه ليصعد إلى ما يشبه السيارات في زماننا هذا ولكنها أكبر منها قليلاً ولها ستة إطارات تسير عليهم، فصعد إليها مستسلمًا وهو لا يدري إلى أين يقودونه؟

****

أثناء سير السيارة غريبة الشكل "بأحمد" وهو جالس مكبل اليدين والقدمين داخل صندوق السيارة المصمت تمامًا والذي جعلها تشبه سيارات نقل المساجين التي اعتاد رؤيتها في الأفلام والمسلسلات في عالمه، لكنه لم يفكر ولو لمرة واحدة في حال الجالسين بداخلها ،وذلك لحياة "أحمد" الهادئة البعيدة كل البعد عن المشاكل والمتاعب فقد كان "أحمد" طوال عمره يعيش حياة هادئة يهرب فيها من المشاكل ويفر فيها من المواجهة أيًّا كان نوع هذه المواجهة ،ولا يحب المصاعب أو المتاعب، فقد كانت حياته تسير علي وتيرة واحدة يعيشها بين صفحات القصص والروايات الخيالية التي أدمن قراءتها دون أن يحاول تطبيق ما قرأه على أرض الواقع.

كذلك دراسته في مجال البرمجيات والتي أحبها كثيرًا باء فيها بالفشل في الحصول على عمل يناسب هذا التخصص، فلعل ذلك ما جعله ينفر من كل شيء حوله ويرضى بالحياة اليسيرة السهلة التي يعيشها وقد خلت من أي آمال أو طموحات، فوسط كل هذا الملل لا يوجد مجال لتحقيق أي حلم أو الوصول لأي هدف.

فجأة أخرجه الارتجاج الشديد للسيارة التي تقله من أفكاره ليجد نفسه يسقط علي وجهه رغمًا عنه هو والكرسي المكبل عليه.

ارتجت السيارة مرة أخري ثم أعقبها توقفها عن العمل وسط الصحراء الشاسعة الممتدة أمامها بلا نهاية مع صوت هرج ومرج شديد بالخارج يصحبه صيحات قتالية كأن حربًا ضروسًا اشتعلت فجأة بالخارج و "أحمد" مقيد اليدين والقدمين داخل السيارة ولا يعلم شيئا عما يدور خارجها .

فجأة وجد باب السيارة يُفتح بقوة مع من يوجه له الأمر بالخروج من السيارة بسرعة فلم يستطع الحركة بسبب قدمه المقيدة بالكرسي فما كان من الرجل المتكلم معه إلا أن حمله بالكرسي بمعاونة رجلين آخرين معه وهو يأمرهم بسرعة الحركة فعما قليل سيمتلئ المكان بجنود الملك بعد هذه المعركة.

****

في قاعة كبيرة داخل القصر العظيم المحاط بالجنود والحرس من كل جانب، وقف الملك بحسده الضخم وهيئته التي تبين مدى تسلطه على كل من حوله، أمام نظراته الحادة ارتعدت أطراف جميع الجالسين بالقاعة وهم ينظرون إلى الملك الواقف أمامهم وهو يصرخ فيهم بغضب شديد قائلًا: كيف يهرب هذا الرجل منكم، أي رجال أنتم ؟

لم يجرؤ أحد من الجالسين أمام الملك بالرد عليه، فنظر إلى أحدهم نظرة نارية وهو يقول له: أنت المسؤول عن حراسة السجين، أليس كذلك؟

كيف هرب منك؟

فرد الرجل بعد طول تردد قائلًا: جلالتك، لقد فوجئنا بهجوم مباغت من المتمردين من كل اتجاه فلم نستطع التغلب على المفاجأة التي وقعت علينا إلا بعد أخذهم للرجل الغريب والهروب به.

فألقى الملك بالكوب الذي كان في يده على الأرض بعنف شديد وهو يصرخ فيه: هل تدرك حجم الكارثة التي تسببت فيها، هل تعلم ماذا سيحدث إذا عرف المتمردين كيف اقتحم هذا الرجل الأرض المحظورة؟ ستكون كارثة علينا جميعًا.

ثم صمت قليلًا تبدلت خلالها فجأة هيئته من القسوة والشدة إلى الخوف الذي يدعوك ربما وأنت تنظر إليه بشيء من الشفقة وهو يكمل قائلًا: سينهار كل شيء، سينهار كل شيء

ثم هتف فجأة بصوته الهادر: لابد من استعادة هذا الرجل الغريب وبأي ثمن.
ثم تكلم بصوت خافت جدًا كأنه يكلم نفسه ،أو كأنه يكلم رجل جالس أمامه مباشرة دون أن يراه أحد: لا أستطيع تخيل نفسي بين أيدي المتمردين
نظر إليه أفراد حاشيته الجالسين أمامه بدهشة شديدة فهذه هي أول مرة يرون فيها ملكهم بهذا الشكل الذي يظهر فيه ضعفه، فمنذ أن سيطر على حكم البلاد كلها بعد قتله لأبيه الملك السابق للبلاد الذي كان عكسه تمامًا في إدارة شؤون البلاد، فقد كان تعامله باللين وحكمه بالعدل بين أفراد الشعب، مما جعل شعبه يحبه ويلتف حوله ،ولكن ذلك لم ينفعه بشيء ،عندما انقلب عليه ابنه وانفرد بالحكم فلم يستطع أحد من أفراد الشعب نصرة ملكهم ،إنما تخاذل الجميع واستسلموا أمام قوة وسطوة الملك الجديد الذي فوجئ الناس بعد أيام قليلة من إعلان نفسه ملكًا بإعلان وفاة الملك المخلوع إثر أزمة قلبية مفاجأة، ليصبح هو الحاكم الوحيد للبلاد والقابض على زمام الأمور بقبضة من حديد لا يستطيع أحد الإفلات منها خاصةً مع هذا النظام الأمني الشديد الذي أسسه الملك وأشرف عليه بنفسه والذي جعل له صلاحية القبض على أي أحد وتعذيبه وربما قتله لمجرد الشك فقط في أنه يعارض الملك ونظامه.
نتيجة للظلم الشديد الذي وقع على الناس ظهرت فئة معارضة لهذا الملك الظالم، تطور الأمر معها بأن أصبحت فئة مسلحة اتخذت من الجبال والكهوف أوكارًا لها، تعقد فيها الاجتماعات ،وتحشد بها المنتمين لها والساخطين على نظام الملك.
لكن ما كان يمنعهم من القضاء على الملك هو سيطرته على سر القوة الكامن في هذه الأرض وهو السر الموجود في الأرض المحظورة، هذه الأرض المحاطة بوسائل حراسة وأمن شديدة، تجعل اختراق هذه الأرض شيء مستحيل، بل مجرد محاولة القرب من حدودها ضرب من الجنون.

جميع سكان هذا العالم الغريب على علم أن في الأرض المحظورة سر قوة الملك وسر الأسلحة التي تضمن له القوة والتفوق والسيطرة على هذا العالم المجهول.
فجأة وجه الملك كلامه إلى قائد قواته بغضب شديد: أمامك مهلة يومين فقط لتقبض على هذا الرجل الغريب وإلا.....
ثم سكت الملك قليلاً وهو ينظر إلى قائد قواته نظرة قاسية جعلته يرتجف في مكانه وأكمل الملك قائلًا: رقبتك مقابل فشلك في الحصول عليه.

****

فوجئ "أحمد" بالسيارة تسير به بين جبال عالية وتنزل وديان وعرة وهو لا يعلم أين كان ؟ولا إلي أين هو ذاهب؟ ولا من الذي ألقى القبض عليه وعذبه منذ أيام ؟ولا من الذي أنقذه من بين أيدي خاطفيه؟ وهل تم انقاذه فعلاً، أم هو ذاهب لمجهول آخر أصعب من الذي كان فيه؟
رغمًا عنه وجد نفسه يبتسم فهذه هي حياته طوال عمره لم يتمتع فيها برفاهية الاختيار ،إنما كان مجبرًا على الدوام بفعل الشيء دون أن يكون له حق تقرير المصير.
أسوء ما كان يحزنه في حياته رضاه بفعل أشياء رغم إرادته ليُرضي بها غيره، فلم يعتاد يوما على قول كلمة "لا" أو الاعتراض بحكم نشأته في أسرة يتحكم فيها الأب الذي لم يكن يرضى أبدًا لأحد أفراد أسرته أن يراجعه في قول أو يناقشه في رأي، ولعل ذلك ما جعله يسعى للاستقلال بحياته بمجرد إتمام دراسته الجامعية ،وسعيه لتكوين أسرة يبدأ فيها حياة جديدة يشترك مع شريكة حياته في إدارتها ليصلوا معًا إلى السعادة التي كان يبحث عنها طوال عمره .
لكنه اصطدم في حياته الجديدة بزوجة هي الأخرى علي نفس طباع الأب، تتميز بالعناد في كل شيء حتي وإن كانت علي خطأ فلا ترضى بالاعتراف بهذا الخطأ وتظل على عنادها و....

أخرج "أحمد" من ذكرياته توقف السيارة فجأة في بداية طريق ضيق تحيط به الأشجار من كل مكان ،ليطلب منه رفاقه بالسيارة النزول منها والسير على الأقدام .
انتهى الحال "بأحمد" ومن يرافقونه من الرجال عند فتحة خفية أسفل جبل شاهق فيما يشبه مغارة داخل هذا الجبل ،مضاءة جوانبها بمشاعل تضفي جو من الرهبة بلهبها المتراقص على جانبي المغارة فيما يشبه لوحة أسطورية من زمن غابر .
وقف "أحمد" نهاية رحلته داخل هذه المغارة فيما يشبه قاعة اجتماعات صغيرة مؤثثة بأثاث قديم يجلس عليه بضعة رجال كل واحد منهم ينظر إليه نظرة متفحصة .
وقف "أحمد" أمامهم في صمت هادئ كمن اعتاد المفاجآت في هذه الأرض الغريبة التي وجد نفسه فجأة فيها.
انتظر "أحمد" أيًّا من الرجال أمامه البدء في الكلام، ولم يطول انتظاره فبعد أقل من نصف دقيقة من وقفته تكلم كبيرهم الذي يبدو عليه الوقار بشعره الأشيب ونبراته الهادئة قائلًا: تفضل بالجلوس يا بني ،لابد أنك تعبت من طول الطريق ووعورته .
أحس "أحمد" لأول مرة منذ وصوله لهذا العالم الغريب بشيء من الراحة النفسية وهو ينظر إلى هذا الرجل الجالس أمامه والذي يدعو شكله وأسلوبه الهادئ للإحساس بالسكينة والاطمئنان
أعرفك بنفسي، اسمي "حامد" أو كما يدعونني هنا الأب "حامد" وهؤلاء هم رفاقي وستعرف بالتفصيل سر وجودنا هنا وسبب اجتماعنا في هذا المكان البعيد
تكلم الأب "حامد" بهذه الكلمات القليلة بأسلوبه الهادئ الذي لا يخلوا من الثقة بالنفس مع الإحساس بخطورة ومسئولية العمل الذي هو قائم عليه مما جعل "أحمد" يسارع بالكلام قائلًا: أريد أن أعرف أشياء كثيره تخص .....
فقاطعه أحد الجلوس بأسلوب يخلوا من المودة: أنت هنا لتخبرنا أشياء كثيرة نود أن نعرفها، لا أن تعرف أنت عنا أشياء كثيرة.

ذكره هذا الأسلوب بنفس أسلوب المحقق الذي استجوبه قبل ذلك مما أعاد الرهبة والخوف إلى نفسه مرة أخرى ،مما جعل الأب
"حامد" يشير إلي الرجل المتكلم بالصمت والتفت إلى "أحمد" قائلا: معذرة يا بني "فخالد" دائمًا متحفظ بعض الشيء في التعامل مع الغرباء ،ولكنك عندما تعتاد عليه وعلى هذا المكان ستعرف كم هو طيب القلب
فنظر إليه "أحمد" باستنكار شديد قائلا: وهل سأظل هنا كثيرا حتى أعتاد عليه أوعلى غيره؟
فلم يلتفت الأب "حامد" لأسلوب "أحمد" ولا لكلماته إنما قال له: تفضل اسأل ما بدا لك.
فتنهد "أحمد" ثم قال: أين أنا ؟وفي أي بقعة من العالم أكون؟ فواضح من لغتكم العربية أننا في بلد عربي ،ولكن لهجتكم مختلفة عن بلدي مصر، كما أن ملابسكم والسيارات الغريبة التي تركبوها توحي بأننا لسنا في أي بلد معروف ثم تساءل في حذر: في أي عام نحن؟
فنظر إليه الجميع بدهشة بالغة وبدء "حامد" بالكلام قائلًا: ماذا تقصد بكلمة لغة عربية ؟وماذا تعني كلمة مصر؟ ولا أعلم معنى سؤالك في أي عام نحن؟
فنظر إليه "أحمد" بدهشة كبيرة وظل صامتًا لبعض الوقت وهو يفكر في جدية الكلام مع الرجل الواقف أمامه واحساسه أنه سقط فريسة لخدعة كبيرة، أو مقلب تافه، ولكن عندما تذكر الحادثة التي وقعت له ،والبوابة الضوئية التي فُتحت أسفل الصاعقة الغريبة، وجذب هذه البوابة لسيارته الثقيلة ،بدأ تفكيره يتجه مرة أخرى إلى النظريات الخيالية التي كان دائمًا يعتقد أنها مجرد وسيلة للتسلية، أو للهروب من الواقع الذي يحياه وهو غير راضي عنه ،ولكنه أحسَّ الآن بشيء من الصحة في هذه النظريات مما جعله يسأل الرجل بحذر يصاحبه الخوف والقلق: تكلم معي عنكم، من أنتم وما هي قصتكم؟

نظر الأب ‘‘حامد’’ إلى رفاقه نظرة لا توحي بشيء ،ثم التفت إلى ‘‘أحمد’’ وبدأ يتكلم بأسلوب رجل يحكي حكاية طويلة قائلًا:
نحن هنا جماعة المعارضة للملك الظالم الذي يحكم هذا العالم منذ ثلاثين عامًا بعد موت أبيه المفاجئ وكل الناس على يقين بأنه هو الذي قتل أبيه ليستبد بالحكم بدلًا منه، ولكن لا أحد يجرؤ على مواجهة الملك بذلك الأمر خوفًا من بطشه وسطوته.
كان أبيه حاكم عادل أحبه الناس والتفوا حوله عكس هذا الابن الظالم الذي لم يرث من أبيه شيء سوى قوته وإقدامه فقط.
‘‘أحمد’’ بحيره شديدة: ما اسم هذا البلد الذي نحن فيه وكيف وصل الأب نفسه إلى حكم هذه الدولة؟
‘‘حامد’’: لا أعرف معنى كلمة بلد ولا كلمة دولة التي ذكرتها ،ولكن الأب حصل على الحكم من أبيه وأبيه عن جده وهكذا فهذه الأسرة الحاكمة تتوارث الحكم هنا منذ آلاف السنين ولا نعرف غيرهم تولى الملك أو السلطة في هذا العالم.
صمت ‘‘أحمد’’ قليلًا ليستوعب ما سمع ثم قال: وما قصة هذه الأرض المحظورة التي تريدون معرفة سرها؟
’’حامد’’: هذه الأرض بها كل الأسرار وكل العلوم والمعارف التي اختصت بها الأسرة الحاكمة نفسها ،ومحرم على أي أحد دخول هذه الأرض ،فنحن لا نعرف ما بداخلها، إنما الملك فقط وقلائل من المقربين منه هم المسموح لهم بدخول هذه الأرض ومعرفة ما فيها من أسرار.
ثم أبتسم ‘‘حامد’’ بود وقال: أظن الآن من حقنا نحن بعد أن سألت أنت كل هذا الكم من الأسئلة أن نسألك بعض الأسئلة
فأشار ‘‘أحمد’’ برأسه علامة الموافقة دون أن يتفوه بأي كلمة
فبدأ ‘‘حامد’’ الكلام سائلًا ‘‘أحمد’’ بقوله: من أنت ؟وكيف دخلت الأرض المحظورة؟
فبدأ ‘‘أحمد’’ يقص عليه كل شيء عن كوكب الأرض وبلده مصر والبلاد الأخرى وانتهى برحلته الغريبة من القاهرة إلى الإسكندرية والتي انتهت بالحادثة التي وقعت له وسقط على أثرها في غيبوبة

عميقة، ليجد نفسه بعد أن أفاق منها في غرفه التحقيق مع الرجل المكلف بالتحقيق معه من قبل الملك.
بعد أن انتهى "أحمد" من قصته نظر جميع الحاضرين لبعضهم البعض بدهشة شديدة، وأغلبهم غير مصدق لما سمع، وبعضهم لم يفهم ما تكلم به "أحمد" فآثر الجميع الصمت ،ولم يتكلم أحد منهم بكلمة واحدة مما جعل "أحمد" يقول: سؤال أخير، واضح من الأحداث التي مرت بي أنني من عالم مختلف عن عالمكم، فكيف تتحدثون باللغة العربية مثلي؟
فنظر إليه "حامد" بدهشة قائلًا: لا أعرف معنى كلمة لغة التي ذكرتها ،ولكن الذي أعرفه أننا نتكلم هكذا نحن وجميع سكان هذا العالم وكل الناس تتكلم هكذا وآبائنا وأجدادنا كانوا أيضًا يتحدثون هكذا.
ثم أكمل بعد فترة صمت قليلة: كل الأسرار موجودة في الأرض المحظورة
"أحمد" بعد تفكير: الله عز وجل أعلم بحقائق الأمور
"حامد" باستغراب: ما معنى كلمه ((الله)) التي ذكرتها
فنظر إليه "أحمد" باستنكار شديد أختلط بشيء من الغضب وعدم التصديق لما سمعه من الرجل.

****

جلس قائد القوات الخاصة بالملك في غرفة الاجتماعات مع كبار الضباط في مناقشة ساخنة حول تطورات الأمر بخصوص هروب "أحمد" عن طريق المعارضة وخطورة حصول المعارضة على طريقة اختراق الأرض المحظورة والدخول إليها.
قائد القوات محذرًا: الأمر خطير جدًا ومستقبلنا كلنا مهدد بالخطر .
أحد الضباط مفكرًا: من طريقة تهريب الرجل الغريب يتضح معرفة المعارضين لخط سيرنا وموعد التحرك مما يؤكد ما كنت أشك فيه منذ زمن بوجود جاسوس بيننا وداخل صفوفنا ينقل الأخبار للمتمردين .
ضابط آخر: ذلك مستحيل الحدوث فأنت تعرف طريقة اختيار جلالة الملك لمن يعمل معه.
ضابط آخر معقبًا على كلام زميله: إذا لم يكن بيننا خائن، فكيف عرف المتمردين بموعد انتقال الرجل الغريب؟ وخط السير الذي ستتحرك فيه قوات الحراسة؟ وكذلك الوجهة التي ستتوجه إليها؟
بدا التوتر واضحًا على قسمات وجه أحد الضباط وهو يتكلم بطريقة يحاول بها تغيير مجرى الحديث قائلاً: المهم في الوقت الحالي استعادة الرجل الغريب من أيدي المقاومة ،ومسألة وجود خائن بيننا من عدمه نفكر فيها في وقت آخر وأنهي كلامه وهو يجفف عرق مصطنع نزل على جبينه بمنديل في يده .
نظر إليه قائد القوات نظرة ذات معني وهو يعقب على كلامه: معك حق، المهم لنا في هذه المرحلة استعادة الرجل الغريب وإلا مصيرنا جميعًا ....
وأشار بسبابته إلى صورة كبيرة للملك تملأ الحائط المواجه له وهو يكمل كلامه: أظنكم تعرفون ما أقصده وما ينتظرنا إن لم نستطع القبض علي الرجل الهارب .
ثم نظر مرة أخرى إلى الضابط : وموضوع الخائن سيتم مناقشته في وقت آخر.

ثم بدأ مع ضباطه في وضع خطة استعادة ‘‘أحمد’’ من أيدي المعارضة.

****

نظر ‘‘أحمد’’ باستنكار وغضب إلى ‘‘حامد’’ ونهض بانفعال شديد من مقعده وهو يهتف به: ماذا تقول يا رجل ((الله)) خالق كل شيء وهو ربنا ورب العالمين وواجب علينا جميعًا عبادته والخضوع له.
فنظر جميع الحضور إلى ‘‘أحمد’’ باستغراب شديد وهو يتكلم بهذه الطريقة التي تتميز بالعنف ثم تكلم رجل اسمه ‘‘أدهم’’ (أحد قادة المعارضة): لا نعرف ما تقول، ماذا تقصد من كلمة نعبده وخالق كل شيء .
فبدء ‘‘أحمد’’ يرتب أفكاره وهو ينظر إلى ‘‘أدهم’’ ويوزع نظراته بينه وبين باقي الحضور موجهًا إليهم السؤال بانفعال: هذا العالم الذي نحن فيه من الذي أوجده؟
فنظر الجميع بعضهم إلى بعض بحيرة شديدة ولم يرد عليه أحد، فأكمل قائلاً: النظام الذي يسير عليه هذا العالم، الشمس التي تشرق بالنهار فتضيء لكم وتغيب في الليل فتظلم الدنيا حولكم في وقت ثابت ونظام محدد لا يتغير، من الذي نظم هذا الأمر؟ والجبال التي تحيط بكم !من أوجدها وجعلها على هذا الشكل؟ أجسامكم وما تحويه من أجهزة والحواس السمع والبصر وغيرها ،كيف تعمل بهذه الدقة؟ ومن الذي جعلها تعمل بهذه الدقة؟ وإذا اختل شيء منها ربما يموت الإنسان
ثم سكت ‘‘أحمد’’ لينظر إلى وجوههم التي امتلأت بالحيرة وعدم الفهم ثم بدأ ‘‘حامد’’ بالكلام قائلًا: الحقيقة أننا لم نفكر أبدًا في مثل هذه الأمور، ولكن لابد أن كل ذلك وجد صدفه ،أو أن الطبيعة هي التي أوجدته دون تدخل من أحد.
فأسرع ‘‘أحمد’’ بالرد عليه وقد أحسَّ ربما لأول مرة في حياته بمسؤولية كبيرة تقع على عاتقه و رسالة مهمة لابد أن يؤديها وهو يقول له: كل شيء يدل على من فعل هذا الشيء ثم قام ‘‘أحمد’’

بتحريك كوب ماء أمامه ثم قال لهم: هذا الكوب الذي حركته وأنتم رأيتموه وهو يتحرك هل تحرك من تلقاء نفسه أم أنا الذي حركته؟
وسكت قليلًا لينظر إلى وجوههم التي امتلأت بالشك والحيرة، فأكمل قائلًا: النسيج يدل على النَّسَّاج ،والرسم يدل على الرَّسَّام ،والكون بهذا النظام الدقيق الذي لا يقبل الخلل أبلغ دليل على وجود الإله القدير الذي خلق كل هذا الكون ،ولابد لهذه الاشياء المنظمة في هذا الكون والتي ترونها جميعًا في أنفسكم وفي الكون حولكم من وجود خالق لها أوجدها وسيرها بهذه الدقة ،ومازال يحفظها ويسيرها ويدبرها بإحكام ودقة لا تقبل الخلل
اندفع ‘‘خالد’’ كعادته في الكلام قائلا: إذا اقتنعنا بوجود الخالق الذي تتكلم عنه وأنه خلق كل هذا العالم وأوجدنا فيه ونظم كل أموره كما تقول فمن الذي أوجد هذا الخالق؟
فنظر إليه ‘‘أحمد’’ نظرة عميقة وجمع أفكاره وهو يرد عليه قائلًا: أخبرتك أن الله جعل قوانين الكون ليسير عليها هذا العالم فلا يعقل أن نتصور خضوع الخالق لقوانين المخلوقات، فالله خلق الكون وخلق الزمان وخلق المكان، فالله لا يتقيد بقوانين هذا الكون ولا يخضع لقوانين الزمان والمكان، فمثلًا العرائس التي تتحرك بزمبرك تنظر للإنسان الذي صنعها وتتصور أنه يتحرك بزمبرك مثلها، فإذا قلنا أنه يتحرك من تلقاء نفسه قالت: مستحيل أن يتحرك شيء في هذا العالم من تلقاء نفسه لأنه في عالمها كل شيء يتحرك بزمبرك، كذلك أنت بالمثل لا تتصور أن الله موجود بذاته بدون موجد لمجرد أنك ترى كل شيء حولك في حاجه إلى مُوجِد
الله لا يحتاج إلى دليل لأن الله هو الحق الواضح وهو الحجة على كل شيء، الله ظاهر في النظام والدقة والجمال والأحكام ،في ورقة الشجر في نظام البحار والرياح والطيور والحيوانات وكل شيء يحيط بكم
أنهى ‘‘أحمد’’ كلامه وشعر بعرق غزير يغمر كل جسده وأحسَّ بانفعال شديد لم يشهده في حياته من قبل وتذكر حياته السابقة التي لم

يشهد فيها يومًا أي مسؤولية ملقاة على عاتقه، أو هدف يسعى لتحقيقه، أو رسالة يهتم بأدائها.

انتبه "أحمد" على صوت "حامد" وهو ينظر إليه بإشفاق أبوي قائلاً: واضح أنك انفعلت كثيرًا ولابد أن ترتاح سنؤجل كلامنا لوقت آخر، ثم أشار إليه بإصبعه قائلاً: تذكر دائمًا سبب وجودك بيننا ،وهو معرفة طريقة الدخول للأرض المحظورة ،وأهمية ذلك ،بل اعتبر ذلك مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا

ثم صمت قليلاً وهو ينظر إلى وجه "أحمد" ليرى وقع كلامه عليه ثم أستأنف قائلاً: سيقودك "منير" إلى المكان الذي ستقيم فيه وسنتقابل قريبًا جدًا لإنهاء موضوع الأرض المحظورة

نظر "أحمد" إلى الشاب الذي قدمه له "حامد" وهو "منير" (أحد رجال المقاومة) شاب هادئ يبدو من قسمات وجهه الطيبة والود أدار "أحمد" نظرة إلى وجوههم الممتلئة بالحيرة والشغف للمعرفة والبحث عن الحقيقة، فانصرف خلف "منير" وقد أحسَّ بأن الشيء الذي كان يبحث عنه طوال عمره قد وجده أخيرًا.

****

خلال سير "أحمد" مع "منير" حاول "أحمد" الحديث معه بعد أن وجده منبسطًا معه في الكلام عكس "خالد" الذي يظهر الشك والريبة دائمًا تجاه "أحمد"

لاحظ "أحمد" نظرات مختلفة من أفراد القرية الصغيرة التي بها البيت الذي سيكون مأوى له خلال الفترة القادمة ،فلاحظ نظرات الريبة والتوجس من البعض ،و نظرات الإعجاب من البعض الأخر بعد تناقل الأخبار بظهور "أحمد" المفاجئ في الأرض المحظورة وقدرته على اختراق الحواجز الأمنية التي كان يستحيل اجتيازها من قبل والتي تحيط بالأرض المحظورة من كل جهة

ظهر "أحمد" في أعين كثير من أفراد القرية الصغيرة بأنه المنقذ المرتقب الذي طال انتظارهم له لسنوات عديدة ليخلصهم من الظلم والاضطهاد الواقع عليهم فبمجرد اختراق حواجز الأرض المحظورة

ستزول أسباب تفوق وقوة الملك الظالم وستنكشف أسرار القوة التي يعتمد عليها

حاول ‘‘أحمد’’ التودد لبعض الأهالي بالابتسام في وجوههم وإلقاء التحية على البعض منهم إلا أنه لاحظ علامات الخوف والتوجس تجاهه إلا امرأه واحدة فقط أو قل فتاة لا يتجاوز عمرها العشرون سنة ،وقفت من بعيد تنظر إليه في ترقب وفضول وكأنها تريد أن تخبره شيء ولكن الخجل والخوف منعها من الاقتراب منه.

نظر ‘‘أحمد’’ إليها طويلًا، وأحسَّ بوجود سر وراء نظراتها ،وشعر بإحساس غريب يدعوه لإطالة النظر إليها والشغف والفضول لمعرفة ما وراءها ،ولكنه أجَّل ذلك لما بعد ،لإحساسه بأن فترة بقائه في هذا العالم ستطول

وصل ‘‘أحمد’’ أخيرًا إلى البيت الذي سيمكث فيه وهو عبارة عن كوخ خشبي متوسط الحجم رغم بساطته يبدو أنيقًا بما يحيط به من أزهار جميلة تضفي عليه مظهرًا جميلًا يبعث الراحة في النفس وهدوء الأعصاب

بعد تبادل أطراف الحديث بين ‘‘أحمد’’ و ‘‘منير’’ واستفسار ‘‘منير’’ عن بعض الأشياء التي تخص العالم الذي أتى منه ‘‘أحمد’’ خاصة عن الخالق الذي تحدث عنه ‘‘أحمد’’ فقد بدا ‘‘منير’’ كثير الفضول والشغف لمعرفة الكثير عن الخالق الذي خلق كل هذا العالم الذي يحيط بهم والذي خلقهم هم أنفسهم

انصرف ‘‘منير’’ بعد أن أخبر ‘‘أحمد’’ عن كثير من الأمور التي تخص هذه القرية وسكانها وعاداتهم وأحوالهم ،وأخبره إذا احتاج ‘‘أحمد’’ أي شيء كيف يطلبه ،وكيف يحصل عليه

ذهب ‘‘منير’’ وترك ‘‘أحمد’’ يفكر في وضعه الجديد وحاله الذي وصل إليه ،و بدأ يفكر في عالمه الذي تركه خلفه وحياته الماضية ورغمًا عنه تذكر زوجته التي لم يكمل معها أكثر من عام فقط لينتهي بعده زواجه بالطلاق مخلفًا ورائه جرح عميق في نفس ‘‘أحمد’’ وتجربه أليمة تُضاف إلى قائمة الفشل الذي عانى منه طوال حياته وفجأة وجد صورة الفتاة التي رآها منذ قليل في القرية تظهر في

مخيلته ،وبدأ يفكر فيها وفي السر الخفي وراء نظراتها له، وظل على هذا الحال حتى غلبه النوم دون أن يشعر.

****

استيقظ ‘‘أحمد’’ علي صوت طرقات على باب الكوخ فانتفض فزعًا من نومه بعد حصوله على جرعة نوم عميق بعد التعب والمشقة والتعذيب الذي عانى منه طوال اليومين السابقين

أسرع ‘‘أحمد’’ يضغط على زر هاتفه المحمول ليجعله صامت ولكنه تذكر فجأة أنه سقط في عالم آخر غير عالمه الذي كان فيه، هذا العالم الجديد ليس فيه هاتف محمول أو أي وسيلة أتصال من أي نوع

ورغمًا عنه ابتسم ‘‘أحمد’’ عندما تذكر رئيسه السابق في عمله الذي اعتاد على الاتصال به أثناء نومه ليوقظه من النوم على صوت رنين الهاتف المزعج

انتبه ‘‘أحمد’’ لصوت الطرقات التي عادت لتكون أشد من السابق فأسرع بفتح باب الكوخ ليجد ‘‘منير’’ واقفًا أمامه بابتسامته الهادئة فرحب به ‘‘أحمد’’ وهو يدعوه إلى الدخول

فض ‘‘منير’’ لفافة على الطاولة أمام ‘‘أحمد’’ ليخرج منها رائحة الطعام الشهي مما جعل شهية ‘‘أحمد’’ تتحرك تجاه طعام ‘‘منير’’ اللذيذ.

بعد الانتهاء من الطعام طلب ‘‘أحمد’’ من ‘‘منير’’ الخروج معه في جولة لتفقد القرية والتعرف على أهلها

أثناء سير ‘‘أحمد’’ مع ‘‘منير’’ في القرية لاحظ نفس نظرات الريبة والشك في أعين أهل القرية و كذلك علامات الإعجاب والترقب خاصة في أعين شباب القرية الذي أثار حماستهم أخبار اختراق ‘‘أحمد’’ للأرض المحظورة واجتيازه لكل أنظمة الأمن المحيطة بهذه الأرض ظنًّا منهم أن ‘‘أحمد’’ هذا من عالمهم وليس من عالم آخر وأنه استطاع التغلب على نظام الملك الظالم ودخول الأرض المحظورة رغمًا عن قوات الملك والحراسة المحيطة بالمكان، ولم يدر بخلد أحد منهم أنه انتقل بوسيلة مجهولة من عالمه إلى هذا العالم الذي يعيشون فيه.

فجأة توقف ‘‘أحمد’’ عن السير وهو ينظر بفضول وشغف إلى فتاة أمامه مشغولة ببعض الأعمال فلم تلاحظ هذه الفتاة من ينظر إليها، هذه الفتاة هي نفسها التي رآها ‘‘أحمد’’ عندما أتى إلى القرية وكانت تنظر إليه نظرات غريبة لم يعرف لها تفسير.

- ‘‘نور’’، اسمها ‘‘نور’’ (واحدة من سكان القرية)

نطق ‘‘منير’’ بهذه الكلمات عندما لاحظ نظرات ‘‘أحمد’’ لهذه الفتاة مما جعله يلتفت إليه بنظرات متسائلة كمن يطلب منه معلومات أكثر عن هذه الفتاة، ولكنه يخجل من السؤال المباشر فكانت عينيه هي مصدر سؤاله مما جعل ‘‘منير’’ يستأنف الكلام قائلا: ‘‘نور’’ واحدة من ضحايا نظام الملك الظالم ،تعرضت أمها للقتل على يد جنود الملك ،ووالدها معتقل في سجن الملك ،وهي الآن وحيدة تعيش بين أهل هذه القرية.

فسأله ‘‘أحمد’’ مستفسرًا: ولماذا يعتقل الملك والدها ؟وما سبب قتله لأمّها؟

صمت ‘‘منير’’ قليلًا وهو ينظر إلى ‘‘أحمد’’ ثم قال: والد ‘‘نور’’ من القلائل الذين حصلوا على بعض المعارف والعلوم القاصرة على رجال الملك المقربين

وتحصيل العلوم هنا قاصر على عدد معين أو فئة معينة من الناس هي التي لها الحق أن تتعلم وتفهم هذه العلوم والمعارف ،وهدف الملك من تعليم هؤلاء هو الحصول علي موظفين لدولته ومعاونين له خاصة مع وجود أجهزة ومعدات وأنظمة أمن تحتاج لمن يفهمها ويعمل عليها

سأله ‘‘أحمد’’ كمن لم يفهم ما قيل له: وما مشكلة والد ‘‘نور’’ إذًا لماذا يعتقله الملك وهو حسب كلامك من رجال الملك المقربين؟

‘‘منير’’ موضحا: والد ‘‘نور’’ لم يكن راضيًا عن الظلم والقهر الذي يعيش فيه الناس ،وفي الخفاء انضم للمعارضة وبذلك شكَّل تهديد للملك خاصة أن والد ‘‘نور’’ اطلع على بعض أسرار الأرض المحظورة

ثم صمت ‘‘منير’’ ليستجمع نفسه من فرط انفعاله وهو يتكلم عن ظلم الملك ،ثم أكمل عندما علم الملك بذلك ألقى القبض على زوجته، ولكن استطاع رجال المقاومة تهريب ‘‘نور’’ قبل أن تقع في أيدي جنود الملك ولكن الملك هدد والد ‘‘نور’’ إما أن يدلهم على أماكن تواجد رجال المقاومة ويخبره بأسرارهم أو يقتل زوجته.
ثم دمعت عيني ‘‘منير’’ وهو يكمل وبالفعل تم قتل والدة ‘‘نور’’ أمام زوجها ومنذ تلك اللحظة والد ‘‘نور’’ معتقل في السجن، و ’’نور’’ تعيش بين أهل القرية تعاني من فقدان الأم والأب في آن واحد
فنظر ‘‘أحمد’’ إلى ‘‘نور’’ نظرة إشفاق شديد وهو يتخيل حالتها الآن التي تشبه تمامًا حالته بعد موت أبيه وأمه في حادثة سيارة ليقضي ‘‘أحمد’’ سنوات طفولته وشبابه يتيم الأم والأب متنقلًا بين بيت عمه وعمته وأحيانًا بيت أخواله وهذا ما أثر في طبيعته وجعله على الصورة التي وصفناها قبل ذلك
فجأة حدث انفجار شديد قريب من مدخل القرية مع صوت يشبه الطلق الناري مصحوبًا بأصوات صراخ وبكاء لنساء وأطفال والكل يحاول الهرب من مصير مجهول .
فوجئ ‘‘أحمد’’ ب ’’منير’’ وهو يجذبه من يده ويهتف به: لابد أن نهرب بسرعه.
فأسرع ‘‘أحمد’’ بالجري جوار ‘‘منير’’ وهو يتساءل: ماذا حدث ومن أي شيء نهرب؟
فرد عليه ‘‘منير’’ بانفعال شديد: جنود الملك، ثم جذب ‘‘أحمد’’ إلى طريق جانبي انعطف منه إلى وادي ضيق بين جبلين ولكنه لاحظ أثناء هروبه جنود الملك وقد امتلأت بهم القرية في سرعة كبيرة كمن تدربوا أو اعتادوا على هذا الانتشار السريع بما معهم من سيارات سريعة تسهل عليهم الانتشار بسهولة وسرعة في كل أركان القرية
أثناء هروب ‘‘أحمد’’ مع ‘‘منير’’ شاهد من بعيد منظرًا زلزل كيانه كله وجعله يتوقف عن الجري و يقف مشدوها أمام ما يراه.
شاهد ‘‘أحمد’’ ‘‘نور’’ وهي تجري فزعة أمام أحد الجنود الذي يطاردها ويحاول الإمساك بها وهي تجري وتصرخ

توقف "منير" نتيجة لتوقف "أحمد" عن الجري ووقف ينظر بدهشة شديدة من التصرف الغريب الذي قام به "أحمد".

****

في قاعة حكم الملك وقف قائد قوات الملك بمنتهى الزهو والفخر وهو يشرح للملك وحاشيته خطته التي وضعها للإيقاع بالرجل الغريب الذي اقتحم الأرض المحظورة، والذي زاده فخرًا وزهوًا أنه أوقع أيضًا بأحد كبار الضباط والذي كان يعمل جاسوسًا لحساب المعارضة.

بدأت منذ أمد في الشك في وجود خائن بين صفوفنا والذي أكد شكوكي ما حدث عند تهريب الرجل الغريب بهذه الطريقة التي توحي بمعرفة المتمردين مسبقًا بخط سير الجنود .

هنا بدأت أنصب شباكي حول الضابط الذي شككت في خيانته بتسريب بعض المعلومات أمامه وتتبع خط سيره ومراقبته للتأكد من كونه هو الضابط الخائن ومن خلال تتبعه عرفنا مكان اختباء الرجل الغريب الذي اقتحم الأرض المحظورة.

توقف قليلًا لينظر إلى وقع كلماته على الحاضرين ثم أكمل بزهو وفخر كبير: والآن قواتنا وجنودنا تقتحم القرية التي يختبئ بها الرجل الهارب وعما قليل سيكون بين يدي جلالتكم.

نظر إليه الملك باستياء شديد كمن لا يريد لأحد غيره الوقوف موقف افتخار أو زهو كعادة كل الطغاة على مر العصور لا يرون أحدًا يستحق التفاخر بأي نصر غيرهم أو في حضرتهم .

سأله الملك بفتور: وهل تأكدت من القبض علي الرجل الغريب؟

فرد عليه القائد بثقة مصطنعة: أنا واثق من جنودي ومن خطتي وعما قليل سيكون بين يدي جلالتكم.

فسأله الملك بهدوء: وماذا عن الضابط الخائن؟

قائد القوات: تم القبض عليه وجاري التحقيق معه.

الملك بعدم اكتراث: بمجرد القبض على الرجل الغريب أحضره لي فورًا.

ثم أشار بيده علامة انتهاء المقابلة والإذن له بالانصراف.

****

بمجرد أن رأي ‘‘أحمد’’ الجندي وهو يحاول الامساك ب ’’نور’’ أحسَّ بقوة غريبة تجري في عروقه ونشاط يدب في كل جسده فأسرع يعدو تجاه المكان الذي تدور فيه المطاردة بين ‘‘نور’’ والجندي الذي جذب ‘‘نور’’ من ذراعها بقسوة بالغة جعلها تصرخ صرخة شديدة فيفاجأ هذا الجندي بضربة تنزل على رأسه من عصا غليظة تعقبها ضربة تنزل على وجهه أشد من أختها فيسقط أرضًا مغشيًا عليه و ’’أحمد’’ ينادي على ‘‘نور’’ بحسم وصرامة لتتبعه إلى حيث يقف ‘‘منير’’ يراقب ما يجري أمامه باندهاش شديد.

أسرع ‘‘منير’’ إلى طريق جانبي يتبعه ‘‘أحمد’’ و ’’نور’’ التي تتسارع أنفاسها من التعب والانفعال حتى انتهى إلى طريق أضيق منه ينتهي بحائط صخري لجبل شاهق يسد عليهم الطريق.

أحسَّ ‘‘أحمد’’ بخيبة أمل شديدة بسبب انتهاء طريقهم بهذا الجبل الذي يستحيل اجتيازه، انقلبت خيبة الأمل هذه إلى نظرات انبهار شديدة وهو يشاهد ‘‘منير’’ يزيح صخرة أسفل هذا الجبل لينكشف خلفها ممر محفور بطريقة احترافية داخل الجبل .

بدء ‘‘منير’’ الزحف داخل الممر كفأر صغير وهو يأمرهم بالزحف خلفه .

ظل كلًّا منهم يزحف بداخل الممر قرابة العشرة أمتار لينتهي طريقهم بفتحة أكبر تؤدي إلى مغارة بداخل الجبل بمجرد وصولهم إليها أخذ كلا منهم شهيق عميق عوض به نقص الأكسجين داخل هذا الممر الضيق الذي لا يتسع لأكثر من فرد واحد.

وقف ‘‘أحمد’’ و ’’نور’’ يراقبوا ‘‘منير’’ وهو يشعل جدران الكهف بمشاعل يدوية وبمجرد انتهائه من اشعال الكهف نظر إليهم قائلًا:

الآن نحن بمأمن من جنود الملك الظالم .

جلس كلا منهم في صمت بعد المعركة الصغيرة التي خاضوها ليصلوا إلى هذا المكان الآمن ولاحظ "أحمد" نظرات الامتنان والشكر في أعين "نور" التي ما لبثت أن أشاحت بوجهها خجلًا بمجرد أن تلاقت عيناها بعيني "أحمد".

بعد فترة صمت بدء "منير" الكلام قائلًا: لابد من الإسراع بالانتقال إلى مكان آخر تم إعداده مسبقًا تحسبًا لأي طارئ.

وبعد تردد من "منير" نظر إلى "نور" نظرة خجل بها شيء من تأنيب الضمير وهو يقول متجنبا أن تلتقي عينه بعينيها: للأسف التعليمات لدي من الأب "حامد" بضرورة إحضار "أحمد" فقط إلى المكان الجديد لدواعي أمن المعارضة.

ثم أكمل بصوت منخفض كمن يتكلم بكلام غير مقتنع به لكنه مضطر لأن يقوله: للأسف يا "نور" نتيجة للسرية التامة لعملنا لن ينفع أن تأتي معنا إلى المقر الجديد.

لم تتكلم "نور" بشيء إنما دمعت عيناها بألم وخوف ثم رفعت بصرها إلى "أحمد" كمن تطلب منه الحماية والعون ناظرة إليه نظرة فيها شيء من الاستعطاف والرجاء أثارت هذه النظرة مع الدموع التي ملأت عيني "نور" شيء كامن بداخل "أحمد" فقد استفزت فيه رجولته والشيء الذكوري الكامن بداخل أي رجل والذي يتحرك عندما يحس باحتياج الأنثى إليه وطلبها الحماية والمساعدة منه مع ما يحيط بها من متاعب وأخطار.

نظر "أحمد" إلى "منير" بصرامة قائلًا: واضح من مطاردة الجندي "لنور" ومحاولة الإمساك بها أن جنود الملك على علم بوجود "نور" في القرية وسعيهم للقبض عليها لتكون ورقة ضغط ضد أبيها ،فلم يتكلم "منير" بشيء إنما أشاح بوجهه علامة أنه مقتنع تمامًا بما يقوله "أحمد" ولكنه لا يملك الاعتراض على قرارات الأب "حامد".

فأكمل "أحمد" قائلًا: وإذا تم القبض على "نور" ربما يضعف ذلك والدها ويجعله يفشي أسرار المقاومة مما قد يشكل ذلك خطرًا عليكم

خفض "منير" رأسه أرضًا ثم قال بتخاذل: ولكنها تعليمات الأب "حامد" ولابد من تنفيذها

وجه إليه ‘‘أحمد’’ الكلام بعناد و بلهجة كلها صرامة: لن أتحرك خطوة واحدة بدون ‘‘نور’’ وإذا بقت فسوف أبقى معها.
أمام إصرار ‘‘أحمد’’ اضطر ‘‘منير’’ رغمًا عنه على قبول ذهاب ‘‘نور’’ معهم رغم ما ينتظره من تأنيب وتوبيخ وربما عقاب من الأب ‘‘حامد’’.
شعر ‘‘أحمد’’ أمام نظرة ‘‘نور’’ له وهي تسير معهم بشيء افتقده طوال حياته وكم عاش هذه اللحظة في خياله وأوهامه وهو يتخيل نفسه يعيش مع امرأة تستند عليه وترتمي في أحضانه وقت ضعفها وتلوذ إليه في وقت احتياجها ورغمًا عنه وجد تفكيره يتجه إلى زوجته السابقة ، وتذكر كم كانت قوية وعنيدة في كل شيء في حزنها وفرحها ،في غضبها وحتى في مزاحها كانت دائمًا قوية ،وتذكر المواقف الكثيرة التي كانت تعاند معه لمجرد العناد لا أكثر، أو لمجرد فرض رأيها عليه.
ووجد نفسه يقارن بينها وبين ‘‘نور’’ التي تسير جواره بمنتهي الهدوء والسكينة، كأنها تطلب منه الحماية من عدو مجهول لا يراه غيرها فتمنى لو يأخذها بين يديه ويضمها إليه ليبث فيها الطمأنينة ويبعث في داخلها الإحساس بالأمان.
انتهى بهم الطريق ليجدوا أمامهم سيارة صغيرة طلب منهم ‘‘منير’’ الركوب فيها ليقودهم إلى مكان آخر.

.....

لابد من إعدامكم جميعًا ،ولا بد من التخلص من الفشلة أمثالكم سأستبدلكم جميعًا بضباط أكفَّاء يمكن الاعتماد عليهم.
صرخ الملك فيمن حوله بهذه الجمل بصوت هادر في مواجهة قائد قواته والضباط المساعدين له دون أن يجرؤ أحد منهم على التفوه ولو بكلمة واحدة.
فيما عدا القائد الذي حاول النطق بكلمات غير مفهومة بصوت متخاذل، ولكن أخرسه الملك بصوت غاضب قائلًا: جميعكم مجموعة

من الفاشلين ولا مجال عندي لأمثالكم، كيف يهرب رجل واحد من بين أيديكم مع كل الامكانيات المتاحة لكم وهو موجود في قرية بدائية ليس فيها أي أسلحة أو وسائل مقاومة لا تستطيعون الحصول على رجل واحد فيها!

القائد بصوت ضعيف قائلًا: الحقيقة يا جلالة الملك...

فقاطعه الملك بغضب شديد: الحقيقة أنكم لا تصلحون لشيء

ثم أكمل بغضب أشد: أمامكم فرصة واحدة، ثلاثة أيام فقط لتحضروا فيها الرجل الغريب الذي اقتحم الأرض المحظورة وإلا سيطبق عليكم قانون خيانة الملك.

فنظر كلا منهم إلى الآخر نظرة فزع وخوف شديد ولم يجرؤ أحد منهم على التفوه بكلمة واحدة فأكمل الملك قائلًا: وماذا فعلت مع الضابط الخائن الذي قبضتم عليه؟

فتنهد القائد بشيء من الارتياح بعد تغيير مجرى الحديث إلى شيء آخر غير فشلهم في الحصول عليه.

فرد القائد بتوجس وخوف من أن ينطق كلمة تثير غضب الملك مرة أخرى: جاري التحقيق معه وقريبًا سنحصل منه على كل المعلومات عن المتمردين.

فصرخ فيه الملك مقاطعا بغضب شديد: لم تحصلوا منه حتى الآن على أي معلومات، متى ستحصلون عليها إذًا؟ عندما نجد المتمردين داخل الأرض المحظورة.

ثم صرخ فيهم الملك جميعاً: اذهبوا من أمامي لا أريد رؤية أي أحد منكم.

فأسرعوا جميعًا بالخروج وجلس الملك على عرشه يفكر بعمق شديد في الخطر الذي يهدد ملكه، فمنذ سنوات طويلة ربما مئات أو آلاف السنين وأجداده يحكمون هذه الأرض ،أو هذا العالم كله يتوارث الحكم فيه جيلًا بعد جيل والذي يضمن لهم البقاء في الحكم هو السر المخبأ داخل الأرض المحظورة، هذا السر هو الذي يضمن لهم التفوق والبقاء ويضمن بقاء جميع أفراد الشعب أو الرعية منصاعين لهم منقادين لأوامرهم ،وكانت وصية كل ملك لابنه الذي سيخلفه هو

الحفاظ على هذا السر وعدم البوح به لأي أحد وإلا فسيكون من السهل الانقلاب على نظام الحكم في هذا العالم وإنهاء حكم هذه العائلة.

لذلك كل ملك كان يحيط به عدد من المقربين الذين يضمن ولائَهم له وهم فقط لهم الحق في الاطلاع على بعض الأسرار المخبأة في الأرض المحظورة وليس كل الأسرار وكذلك بعض أفراد الرعية القلائل مسموح لهم بتعلم بعض العلوم الموجود سرها في الأرض المحظورة، لأن هؤلاء القلائل من الرعية هم الذين سيساعدون الملك في حكم وإدارة المملكة كموظفين تابعين له، ومن بين هؤلاء كان والد "نور" الذي انقلب على ظلم الملك فكان عقابه كما أسلفنا.

هذا حال كل ظالم وطاغية في كل زمان ومكان سلاحه الأكبر هو الجهل الذي يسيطر به على شعبه، فلو تعلم هذا الشعب فلن يقبل أبدًا الانقياد وراء ظالم أو ديكتاتور ،أما إذا ظل الجهل وعدم المعرفة يخيم على الناس فسيكون من السهل السيطرة عليهم و ترويضهم كيف يشاء.

فكَّر الملك في الخطر الجديد الذي يهدد ملكه ويهدد السر الذي ظل طوال هذه السنين مخبأ وهو ظهور رجل غريب داخل الأرض المحظورة، وعبوره لكل أنظمة الأمن المحيطة بالأرض المحظورة مما يشكل خطرًا، فلو عرف المتمردين الطريقة التي دخل بها هذا الغريب إلى الأرض المحظورة سيكون من السهل عليهم هم أيضًا الدخول ومعرفة كل الأسرار والعلوم والمعارف فيها فيسهل عليهم القضاء على الملك والانقلاب عليه.

****

سار ‘‘منير’’ بالسيارة ما يقرب من الساعة في طرق جبلية وعرة حتى انتهى به الحال في طريق ممهد بطريقة بدائية يبدو من هيئة هذا الطريق أن رجال المقاومة هم من مهدوه باستخدام وسائلهم البدائية.
توقف ‘‘منير’’ بالسيارة أمام مبنى خشبي يشبه المخازن الخشبية في عالمنا.
طرق ‘‘منير’’ على باب هذا المخزن أو المنزل عدة طرقات بطريقة منتظمة، ففتح لهم رجل يبدو من هيئته أنه من رجال المعارضة وأشار لهم بالدخول مُرحبًا بهم ،ثم سار بهم في ممر داخل هذا البيت انتهى بغرفة، قام بالطرق على بابها ففتح لهم الأب ‘‘حامد’’ والذي نظر إليهم بدهشة شديدة، ثم وجه نظرته إلى ‘‘منير’’ بشيء من اللوم عندما وجد برفقتهم ‘‘نور’’ فعلى ما يبدو أن هذا المكان سري جدًا لا يعرفه إلا القلائل من قيادات المعارضة.
هم ‘‘منير’’ بتبرير وجود ‘‘نور’’ معهم في هذا المكان واحضارها معهم لولا أن أشار له ‘‘حامد’’ بيده ليؤجل الكلام في هذا الأمر لاحقًا.
التفت ‘‘حامد’’ إلى ‘‘أحمد’’ الذي وجده ينظر باهتمام و شغف إلى معدات كثيرة متناثرة في أرض المخزن مما جعل ‘‘حامد’’ يشير إلى هذه المعدات بسبابته قائلًا: هذه أشياء استطعنا الحصول عليها من أحد المراكز الهامة الخاصة بحكومة الملك عن طريق معلومات أبلغنا بها والد ‘‘نور’’ ولكنه للأسف تم القبض عليه قبل أن يخبرنا ما هي هذه الآلات التي أمامك وكيف نستفيد منها؟
أشار ‘‘أحمد’’ بيده إلى هذه المعدات التي أمامه وهو يقول باهتمام هذه مولدات للطاقة الكهربائية.
فسأله ‘‘حامد’’ باهتمام شديد: ماذا تعني كلمة مولدات للطاقة الكهربائية؟ وكيف عرفتها؟
فرد ‘‘أحمد’’: كنت أعمل فيها في عالمي الذي أتيت منه ،كما أن دراستي كانت في مجال الهندسة، فنظر إليه ‘‘حامد’’ بدهشة وعدم فهم فأكمل ‘‘أحمد’’ دون أن يلتفت إليه قائلًا: مولدات الكهرباء هي معدات لإنتاج الطاقة الكهربائية باستخدام وسائل عدة من بينها هذه

الأنواع الذي أمامك والتي تستخدم الوقود السائل لتشغيلها وإنتاج الكهرباء.

سأله "حامد" بشيء من البلاهة: لم أفهم شيئًا من ما تقول ولكن واضح أنك تفهمها جيدًا و تستطيع أن تفيدنا منها، هل هذا صحيح؟

فنظر "أحمد" إلى المعدات التي أمامه وهو يقول كمن يكلم نفسه: سنستفيد منها أكثر من ما تتخيل.

ثم أشار "أحمد" إلى براميل كبيرة أمامه قائلًا: وما هذه البراميل؟

"حامد": هذه براميل وقود حصلنا عليها من مخازن تابعة لجنود الملك أيضًا.

فنظر "أحمد" إلى "حامد" باهتمام شديد متسائلًا: واضح حيازة الملك وحاشيته لعلوم متقدمة ومعارف عديدة، ولكن لاحظت أنكم تعيشون بعيدين جدًا عن العلم والمعارف فما سبب ذلك؟

فرد عليه "حامد": الملك ومن سبقوه من الملوك حتى والده رغم أنه لم يكن ظالمًا مثل ابنه، كانت سياستهم دائمًا منع عامة الناس من الحصول على أي علم أو معرفة خوفًا من حصولهم على أسباب القوة التي تمكنهم من الخروج خارج دائرة حكم الملك.

فسرح "أحمد" بفكره بعيدًا وهو يكلم نفسه قائلًا: واضح أن الفكر واحد لكل الظلمة والمستبدين رغم اختلاف المكان والزمان.

استطرد "أحمد" قائلًا بصوت مرتفع: حسنًا من الواضح أن السر كله مخبأ في الأرض المحظورة، ولم نستطع القضاء على الملك أو إيقاف ظلمه إلا إذا اقتحمنا الأرض المحظورة. اندهش "أحمد" كثيرًا من طريقة تفكيره ،فلم يمضي عليه في هذا العالم الغريب إلا أيام قليلة ولكنه يجد نفسه ينشغل بقضية هذا العالم وما يدور فيه.

طوال عمره وهو يرى أن أنسب حل لأي مشكلة هو الالتفاف حول هذه المشكلة والهرب منها حتي تنتهي دون تدخل منه، ولكنه في هذا العالم يجد نفسه مختلفًا تمامًا في التفكير وفي اتخاذ القرارات فهو يفكر الآن في كيفية اختراق حصن حصين لملك جبار غير عابئ بما قد يواجهه في سبيل ذلك.

يتعجب "أحمد" من نفسه كثيرًا فهو الذي كان يخاف من مواجهة مديره في العمل يرى نفسه الآن يستعد لمواجهة جيش دولة كاملة، وملك جائر بحكومته الظالمة.

وأخذ يفكر في شخصية هذا المخلوق العجيب الذي خلقه الله عز وجل وهو الإنسان كيف تتغير شخصيته وأهدافه وطموحه إذا وجد الدافع لذلك؟ بل إن هذا الإنسان قادر على تغيير مسار حياته وطريقة تفكيره إذا كان لديه الرغبة لذلك ،ووجد الدافع الذي يدفعه للتغيير.

قطع حبل أفكار "أحمد" صوت "حامد" وهو يقول له: الأمل فيك وحدك، فأنت الوحيد الذي استطاع دخول الأرض المحظورة.

فنظر إليه "أحمد" بصرامة وقال: الأمل في الله وحده.

فنظر إليه "حامد" بتوتر كمن يخفي شيء بداخله ،أو يعاني من صراع داخلي يؤرقه، ثم التفت إلى "نور" محاولًا تغيير مجرى الحديث قائلًا: وأنت يا "نور" برغم تضحية والدك من أجل قضيتنا إلا أن وجودك هنا غير مستحب، ستظلين هنا لفترة مؤقتة ثم تعودين مرة أخرى إلى القرية عندما تهدأ الأمور فيها.

فانكمشت "نور" على نفسها وهي تنظر إلي "أحمد" نظرة ذات معنى: كأنها تستغيث به فأحسَّ "أحمد" أمام نظرة "نور" بمسؤولية كبيرة تجاهها، فهي فقدت أبيها و فقدت أمها فليس لها أحد في هذا العالم.

لم يعرف "أحمد" سبب تحرك مشاعره تجاه "نور" بهذا الشكل هل هو اشفاق عليها كفتاه يتيمه الأم محرومه من الأب؟ أم أنه وجد في "نور" الشيء الذي كان يفتقده في زوجته السابقة؟.

فقد وجد في "نور" الفتاة الضعيفة التي تحتاج لمن تحتمي به ،أما زوجته السابقة فكان يفتقد فيها ذلك كان يراها دائمًا قوية في كل شيء في حزنها وفي فرحها في غضبها وفي هدوئها حتى في علاقتها معه كان يراها دائمًا قوية.

تذكر "أحمد" يوم وفاة والد زوجته ذهب إليها ظنًا منه أنه سيجدها في حاجة إليه ليحتويها بين ذراعيه ويخفف عنها ألمها ،ولكنه في هذا

اليوم وجدها امرأة قوية تقف صامدة أمام مصيبتها عكس ما كان يتوقعه منها.
وجد في "نور" الأنثى التي تحتاج إلى ذكر تحتمي به وتعتمد عليه.
عندما التفت "أحمد" إلى "نور" وجدها تنظر إليه على أنه المنقذ الذي جاء إلى هذا العالم وإليها خاصة لينقذها من الظلم الواقع عليها فتحركت فيه مشاعر دفينه واحتياجات كامنة بداخله ،فكما أن للمرأة احتياجات فللرجل أيضًا احتياجاته الخاصة ،فهو يحتاج أن يحس بمن تحتاج إليه وتعتمد عليه.
التفت "أحمد" إلى "حامد" بحدة قائلًا: ليس من الأخلاق أو المروءة التخلي عن "نور" خاصة أن والدها قدم حياته وزوجته من أجل قضيتكم ،فكيف تتخلي أنت عن ابنته بهذه السهولة ؟
حاول "حامد" تهدئته قائلًا: أنت محق فيما قلته لكن أمن المقاومة أه...
فقاطعه "أحمد" بحدة: ليس هناك أهم مما قلته لك.
ثم تكلم بأسلوب عقلاني محاولًا إقناع "حامد" بوجهة نظره: أنت كقائد لو تخليت عن أبناء وأسر من يسقطون من رجالك فسينفض الرجال من حولك خوفًا على مستقبل أبنائهم وأسرهم.
فأطرق "حامد" برأسه أرضًا مفكرًا فيما قاله "أحمد" ولم يرد عليه.

****

بعد انتهاء مقابلة ‘‘أحمد’’ مع ‘‘حامد’’ لم يهتم ‘‘أحمد’’ بأخذ قسط من الراحة، إنما انطلق إلى المعدات الموجودة أمامه وأخذ يفحصها بشغف شديد ويحاول معرفة كيفية عملها ،والذي أصابه بالدهشة الشديدة أنه وجدها تشبه بشكل كبير المولدات الكهربائية الموجودة في عالمه الذي أتى منه ،كأن هناك اتصال بين هذا العالم وعالمه.

نظر ‘‘أحمد’’ أمامه مفكرًا بحيرة شديدة ثم حدث نفسه قائلًا: السر كله في الأرض المحظورة، قطع أفكاره مرور ‘‘نور’’ على بعد خطوات منه وهي تحمل بين يديها حقيبة بها بعض الأغراض الخاصة بها.

فأوقفها ‘‘أحمد’’ بإشارة من يده فالتفتت إليه ‘‘نور’’ مستفهمة منه عما يريد.

التقت عيني ‘‘أحمد’’ بأعين ‘‘نور’’ عندما اقترب منها فخفضت رأسها إلى الأرض في خجل شديد فلاحظ ‘‘أحمد’’ تخضب وجنتيها بحمرة الخجل مما ألقى عليها جمال طبيعي جعل ‘‘أحمد’’ ينظر إليها بانبهار شديد بجمالها الذي لاحظه لأول مرة مما جعلها تهرب بنظراتها منه إلى الجهة الأخرى وهي تهم بالانصراف فأوقفها ‘‘أحمد’’ بقوله:

لحظة من فضلك، أريد التحدث معك قليلًا!

فردت ‘‘نور’’ برهبة ووجل: أنا شاكرة لك مساعدتك لي.

‘‘أحمد’’: لا عليك فأي رجل في نفس موضعي كان سيفعل نفس الشيء الذي فعلته.

فدمعت عيني ‘‘نور’’ وهي تقول: منذ موت أمي وإلقاء القبض على أبي لم أجد أحد يعتني بي فيما عدا الأب ‘‘حامد’’ وبعض رجال المقاومة القلائل الذين كانوا قريبين من أبي.

فاهتمام الجميع هنا منصب على مواجهة الملك والقضاء عليه.

نظر ‘‘أحمد’’ إلى ‘‘نور’’ باهتمام ثم قال: عرفت أن والدك كان من رجال حكومة الملك وكان على علم ببعض أسرار الأرض المحظورة.

فأشارت ‘‘نور’’ برأسها علامة التأكيد على كلام أحمد.

فعقب "أحمد" عليها قائلًا: حسنًا، هل حدثك أبيك قبل ذلك عن شيء بخصوص أسرار الأرض المحظورة، أو أي شيء من هذا القبيل.
صمتت "نور" لحظات مفكره كمن يسرح بفكره إلى ماضٍ بعيد قائلة: لم يحدثني أبي يومًا عن الأرض المحظورة خوفًا عليَّ من مسؤولية المعرفة، فقد كان دائمًا يقول الذي يعرف أكثر معرض للخطر أكثر، ولكني كنت أحيانًا أسمعه يتكلم مع أمي عن أشياء غريبة عرفها من اطلاعه على بعض الأسرار في هذه الأرض.
فسكتت قليلًا لتستجمع أفكارها فاستحثها "أحمد" على الكلام قائلًا: مثل ماذا؟
"نور": سمعته يوما يتحدث أننا لا ننتمي لهذا العالم إنما أجدادنا هاجروا منذ زمن بعيد من مكان آخر غير هذا المكان.
فنظر إليها "أحمد" بانبهار شديد فقد كان يشك منذ وطأت قدمه لهذا العالم بوجود شيء غريب يربط هذا العالم بكوكب الأرض ،فاللغة العربية التي يتكلم بها الناس هنا رغم اختلاف لهجاتها ،ودخول بعض المفردات الغريبة عليها إلا أنها مثل اللغة العربية التي يتكلم بها قومه كما أن السيارات والأسلحة التي يستعملها الجنود تشبه لحد كبير ما يوجد على كوكب الأرض ومما أكد شكوكه وجود مولدات الكهرباء في هذا المكان والتي تشبه إلى حد كبير ما يوجد في الأرض وهو على علم كبير بذلك بحكم دراسته بكلية الهندسة ،وعمله في هذا المجال بالشركة التي كان يعمل بها.
فنظر إلى "نور" وعينه تمتلئ بالأمل في إمكانية وجود الوسيلة التي قد تمكنه من الرجوع إلى الأرض إذا استطاع حل سر الأرض المحظورة، فقال لها بانفعال شديد: "نور" حاولي تذكر كل كلمة كان والدك ينطق بها أمام أمك.
فسرحت "نور" قليلًا ثم بدأت تجمع شتات أفكارها ثم قالت: سمعته مره يتكلم مع أمي بكلام يشبه الكلام الذي سمعتك تتكلم به مع "منير" ونحن في الطريق إلى هنا، فسألها "أحمد" باهتمام شديد: أي كلام؟
فقالت: سمعته يومًا يتكلم مع أمي عن وجود خالق عظيم لهذا العالم الذي نعيش فيه ،ولكن الملك وكل الملوك الذين سبقوه حاولوا إخفاء

هذا الأمر عن الناس خوفًا من اتخاذ الناس لهذا الخالق رمز يستمدون منه القوة ويجدون فيه الأمل في الخلاص من سيطرة الملك، والخروج من دائرة سطوة الملك .فنظر إليها ‘‘أحمد’’ مستحث إياها على إكمال ما تقوله بعد أن صمتت لفترة وامتنعت عن الكلام كأن شيء يمنعها من إكمال ما تريد أن تبوح به.

فنظرت ‘‘نور’’ حولها في خوف ثم قالت بصوت منخفض كمن يخاف أن يسمعه أحد وهو يتكلم: سمعته أيضًا يقول لأمي أن الأب ‘‘حامد’’ على علم بهذا الأمر ولكنه يخفيه عن الناس ويخفيه أيضًا عن رجال المعارضة، فنظر إليها ‘‘أحمد’’ باندهاش شديد ثم التفت بغضب أشد إلى المكان الذي يجلس فيه الأب ‘‘حامد’’.

****

اجتمع قائد قوات الملك مرة أخرى مع كبار ضباطه وبدأ كل واحد منهم في إلقاء اللوم على الأخر في فشلهم في القبض على ‘‘أحمد’’ ومعرفة سر دخوله الأرض المحظورة.

طرق القائد على المنضدة التي أمامه بيده في عنف شديد وهو يصرخ فيهم بصوت مرتفع: يكفي هذا، ألا تدركون حجم الكارثة التي نحن فيها؟ مستقبلنا وربما حياتنا كلها متعلقة بالعثور على هذا الرجل.

فأطرق كل واحد منهم كأنه لم يدرك حجم خطورة ما هم فيه قبل الآن، ثم بدأ أحد الضباط الكلام قائلًا: جميع الخيوط تشير إلى حصول المتمردين على هذا الرجل الغريب وهدفنا الآن اقتحام أماكن اختباء المتمردين للحصول عليه في أحد هذه الأماكن.

فنظر إليه القائد بعدم اكتراث كمن ينظر إلى رجل لم يضيف شيء مفيد ،ثم التفت إلى ضابط آخر بدأ الكلام قائلًا: لابد أن نضغط أكثر على الضابط الخائن الذي تم القبض عليه حتى نحصل منه على معلومات تمكننا من الوصول إلى الرجل الغريب ،وظل حالهم هكذا في مناقشات وتحاورات بين القائد والضباط ثم انتهى اجتماعهم دون تحديد هدف محدد لهم.

****
اتجه ‘‘أحمد’’ بانفعال شديد إلى الغرفة التي يقيم بها ‘‘حامد’’ وطرق الباب بعنف منتظرًا ‘‘حامد’’ حتى فتح له الباب مُرحبًا به باندهاش شديد من أسلوب ‘‘أحمد’’ في الطرق على الباب وعلامات الغضب الباديه على وجهه.
بدأ ‘‘أحمد’’ الكلام قائلًا: أريد الكلام معك قليلًا.
فأفسح له الأب ‘‘حامد’’ الطريق قائلًا: تفضل بالدخول ثم قدم له شيء يشربه منتظرًا من ‘‘أحمد’’ أن يبدأ الكلام.
تمالك ‘‘أحمد’’ نفسه وهو يقول: لقد تناقشت معك قبل وكان ذلك في وجود رجال المقاومة في أمر وجود خالق لهذا الكون الذي نعيش فيه.
فأشار ‘‘حامد’’ برأسه أن نعم دون أن ينطق بكلمة واحدة.
فأكمل ‘‘أحمد’’ قائلًا: تكلمت أيضًا في هذا الأمر مع بعض رجال المقاومة وأمام بعض أفراد القرية وأنت تسمع هذا الكلام.
فأشار ‘‘حامد’’ برأسه مرة أخرى ببطء موافقًا على ما يقول دون أن يتكلم محاولًا بذلك أن يفهم ما يجول في نفس ‘‘أحمد’’ فأكمل ‘‘أحمد’’ قائلًا: وكنت دائمًا تحاول إنهاء الكلام بسرعة و تتجنب الخوض في هذا الأمر وعدم إعطاء الفرصة لأحد من الرجال بمناقشتي.
فرد عليه ‘‘حامد’’ ببطء: الحقيقة يا أحم...
فقاطعه ‘‘أحمد’’ بغلظة: الحقيقة أنك تعلم منذ زمن بهذا الأمر ووالد ‘‘نور’’ حدثك فيه ،وربما حدَّث غيرك من الرجال في هذا العالم وربما غيرك من الرجال في هذا العالم على علم بوجود الله عز وجل فلماذا تخفون ذلك عن الناس وتتركوهم يعيشون هكذا بدون إيمان بالله وبدون هدف سامي يسعون إليه بعد موتهم؟
فنظر ‘‘حامد’’ إلى الأرض في حزن شديد وحيرة وهو يقول: كل ما نطقت به حقيقي، نعم أنا وقليل من رجال المقاومة على علم بوجود خالق لهذا العالم ،وكذلك الملك وحاشيته على علم بهذا الأمر.

فقال: ‘‘أحمد’’: بحزن وأسف شديد وما الفرق بينكم إذًا وبين الملك الظالم وحاشيته.
فتنهد ‘‘حامد’’ بشدة كمن يحمل هم كبير على عاتقه قائلًا: المسؤولية الملقاة على عاتقي تجاه هذا الشعب و تجاه هؤلاء المظلومين هي ما دفعتني بإخفاء هذا الأمر عن الناس.
فنظر ‘‘أحمد’’ باستنكار شديد قائلًا: كيف؟
فرد ‘‘حامد’’: كل الناس حاليًا ملتفين حول المعارضة، وحول رجال المقاومة في سبيل هدف واحد هو القضاء على الملك الظالم و إقامة حكومة ودولة عادلة ،فإذا ظهرت هذه الفكرة بين الناس سينقسم الناس إلى فئتين، فئة مؤمنة بوجود الخالق وفئة أخرى تنكر وجوده ،وحتمًا سينشأ بين الفريقين الصراع والنزاع، كل فريق يريد الانتصار لرأيه وربما ينشأ قتال بينهم، هذا القتال لن يكون أبدًا في صالح المقاومة إنما في صالح الملك فبدلًا من اتحاد الناس في مواجهة الملك سينشغل الناس في صراعاتهم الدينية ويتركوا مقاومة ظلم الملك.
صمت ‘‘حامد’’ بعد هذا الكلام الطويل منتظرًا مشاهدة رد فعله على ‘‘أحمد’’ الذي ظل ناظرًا إليه في حدة وعدم اقتناع بما سمعه ثم قال له: ما نطقت به وقلته يا سيد ‘‘حامد’’ غير صحيح فالإيمان بالله عز وجل يعطي الإنسان عزيمة وقوة في مواجهة الظلم ،لأنه يعلم أن الملك الظالم بشر مثله وفيه صفة الضعف والنقص فيسهل مواجهته والقضاء عليه ،كما أن المؤمن بالله يؤمن بوجود حياة بعد الموت فهو مستعد بالتضحية بحياته من أجل قضيته العادلة ،لأنه يعلم أنه إذا مات سيكون منتصرًا في الأخرة، كما أنه يعلم يقينا بأن الله يؤيد المظلوم ويعينه وينصره ،وأن الله لا يرضى عن الظلم أبدًا ولا يرضى عن الظالمين ،لذلك المظلوم في كفاحه يستمد قوته وعزيمته من الله عز وجل.
فنظر إليه ‘‘حامد’’ بحيرة شديدة وقد بدأ بعض الاقتناع يدخل في قلبه مما جعل ‘‘أحمد’’ يكمل قائلًا: الإيمان بالله عز وجل يزيد النفوس قوة ويزيدها ثقة في قدرتها على اجتياز الصعاب ومواجهة المحن مستمدة الإرادة في ذلك من إيمانها بالله عز وجل.

ظل ‘‘حامد’’ صامتًا وهو يفكر في كلام ‘‘أحمد’’ الذي أحس بمسئولية كبيرة ملقاة على عاتقه فهو دائمًا مؤمن أن الله لا يقدر الأمور عبثًا إنما كل شيء له سبب ،وكل صغيرة وكل كبيرة في هذا الكون لها حكمة عند الله عز وجل ،وربما قدر الله وجوده في هذا العالم الغريب لغاية عظيمة وهدف نبيل أن يبلغ الناس دعوة عظيمة وهي الإيمان بالله عز وجل وأن يبلغهم ويعرفهم الغاية العظيمة التي من أجلها لابد أن يعيشوا ،والهدف السامي الذي لابد أن يسعوا لتحقيقه.
امتلأت نفس ‘‘أحمد’’ بالحماسة الشديدة وبرقت عيناه بانفعال كبير بعد أن شعر أن الله عز وجل اختاره لغاية عظيمة وهدف كبير و رسالة سامية كرسالة الأنبياء والمصلحين في كل زمان ومكان ،فعقد العزم على تبليغ هذه الرسالة للناس أيًّا كان الثمن ،و بدأ يفكر في الطريقة التي يجب عليه اتخاذها في سبيل ذلك.

****

انتهى ‘‘أحمد’’ من كلامه مع ‘‘حامد’’ وجلس منفردًا يفكر في الطريقة التي يستطيع من خلالها تبليغ دعوة الله إلى هؤلاء الناس ،ولكنه توقف عند المسألة التي أثارها ‘‘حامد’’ وذلك أنه يخاف من حدوث انقسام وانشقاق بين الناس حول هذه المسألة خاصةً أنه شاهد ورأى بعينه الصراعات الدينية والمذهبية والتي وصلت في أحيان كثيرة إلى الحروب الطاحنة التي مات فيها المئات والآلاف من الأبرياء .
وجد ‘‘أحمد’’ أن أنسب طريقة ليصل إلى ما يريد هي تجميع قادة المعارضة على كلمة واحدة وإقناعهم بها.
ثم انطلق بفكره إلى الأرض المحظورة والأسرار الكامنة بداخلها، فيا ترى ماذا يوجد خلف أسوار هذه القلعة الحصينة؟!
أثناء تفكير ‘‘أحمد’’ لاحظ ‘‘نور’’ وهي جالسة منعزلة شاردة الذهن فظل يتأملها كثيرًا وهو يفكر فيها ويتعجب من انجذابه لها رغم أنه لا

يعرف عنها أي شيء ،وبدون تردد وجد نفسه يتجه نحوها محاولًا معرفة ما تخبئه خلف صمتها الدائم.
ألقى عليها ‘‘أحمد’’ التحية بهدوء شديد قائلًا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
نظرت إليه ‘‘نور’’ ولم ترد عليه ربما لأنها لا تعرف الرد على هذه التحية، أو بسبب خجلها الشديد وخوفها الدائم من كل شيء بعد فقد أبيها وأمها في وقت واحد
فبدأ ‘‘أحمد’’ الكلام قائلًا: هل تمانعي لو جلست لأتكلم معك قليلًا.
فردت ‘‘نور’’ بخجل شديد: تفضل لا مانع عندي.
جلس ‘‘أحمد’’ ولم يتكلم أمامها إنما تأمل وجهها عن قرب ولأول مرة يلاحظ جمالها الهادئ الذي يجذب إليها النظر ويبعث الطمأنينة في القلب والسكينة في النفس بمجرد النظر إليها لاحظت ‘‘نور’’ نظرات ‘‘أحمد’’ إليها فخفضت رأسها في حياء ثم بدأت هي الكلام على غير المتوقع منها قائلة: أشكر لك ما فعلته من أجلي ثم أشاحت بوجهها في خجل.
فرد عليها ‘‘أحمد’’: لا شيء يدعو للشكر فأي رجل مكاني سيفعل ما قمت به.
فنظرت إليه ‘‘نور’’ قائلة: بحيرة وحزن للأسف بعد القبض على أبي لم أجد من زملائه في المعارضة ما يعوضني عن فقد أبي.
فرد ‘‘أحمد’’ بحزن كمن يعاني ألم قديم: لا أحد يعوض فقدان الأب.
ثم لانت ملامحه كثيرًا وهو يقول لها محاولًا التخفيف عنها: اسمعي يا ‘‘نور’’ ، رجال المقاومة لهم عذرهم ،فالمسؤولية الملقاة عليهم تجاه أفراد هذا الشعب كبيرة، كما أن خطورة العمل المنوط بهم و حجم المخاطر المحيطة بهم تفرض عليهم تصرفات معينة قد تبدو لك غير لائقة، ولكنها من منظور آخر قد تكون سليمة وقد يكون عندهم حق في ما فعلوه معك.
فلم ترد عليه ‘‘نور’’ مما أعطى له فرصة للاسترسال في الكلام قائلًا: أريد أن أكمل معك كلامنا السابق فنظرت إليه ‘‘نور’’ باستغراب قائلة: أي كلام؟

فرد عليها ‘‘أحمد’’: ما سمعتيه من أبيك عن الأرض المحظورة.
فبدأت ‘‘نور’’ تحكي ’’لأحمد’’ كل ما سمعته من أبيها عن أسرار الأرض المحظورة و ’’أحمد’’ يسجل كل ذلك في ذهنه فبعض المعلومات كان يتوقعها والبعض الآخر كانت غريبة عليه تستحق أن يقف عندها للتأمل.
ختمت ‘‘نور’’ كلامها بأن قالت: وسمعته مره يقول أنه في زمن بعيد وعصر سابق ظهر بين الناس من يدعوهم إلى وجود خالق واحد لهذا العالم يحكمه و يسيره وكانت بداية تلك الدعوة رجل واحد هو من أخبر الناس بذلك فاتبعه عدد كبير من الناس ولكن بعد موته ومع مرور الوقت نسى الناس كل شيء عن دعوة هذا الرجل وأصبحوا على ما هم عليه الآن.
فتأمل ‘‘أحمد’’ كلامها ثم حدث نفسه قائلًا: ((وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)).
فنظرت إليه ‘‘نور’’ نظرة من لم يفهم ما سمعه ثم قالت: يوجد شيء يحيرني أود أن أسألك عنه.
فنظر إليها ‘‘أحمد’’ مستفهمًا فقالت: سمعتك تقول أن الله كامل ورحمن وأنه جميل يحب منا فعل الخير فكيف يخلق الله كل هذه الشرور وكل هذا الظلم في العالم الذي نعيش فيه ؟فإذا كان الله يأمرنا بالمحبة والخير والجمال ،فكيف يخلق الكراهية والقبح والشر؟
فنظر إليها ‘‘أحمد’’ وصمت قليلًا مفكرًا ثم قال: الله لم يأمرنا بالشر ولكنه سمح به لحكمة، فالله يأمر بالعدل والإحسان والمحبة ولا يرضى لنا إلا بالطيب ،ولكنه ترك الظالم ليظلم والقاتل ليقتل لحكمة، هذه الحكمة أنه أرادنا أحرار والحرية اقتضت الخطأ ولا معنى للحرية دون أن يكون لنا حق التجربة والخطأ والصواب و حق الاختيار الحر بين الخير والشر فالله قادر على أن يجعلنا جميعًا أخيار وذلك بأن يقهرنا على الطاعة قهرًا، ولكن ذلك يقتدى أن يسلب منا حرية الاختيار.
استجمع أحمد أفكاره ثم أكمل قائلًا: الله قدَّم لنا الخير وترك لنا الاختيار فبظلم الإنسان وسعيه للفساد والشر يختار الطريق الخاطئ،

فمثلًا الله جعل لنا البحار والأنهار وجعل لنا الرياح لتسير بها السفن فيأتي قائد السفينة بسبب جشعه وطمعه فيملأ السفينة بضائع وبشر فوق طاقتها فتغرق السفينة، فهل له أن يتهم الله بأنه أغرق له سفينته وجعله يخسر أمواله أمامه؟! أم أنه بطمعه وجشعه فقد كل شيء!.
صمت ‘‘أحمد’’ بعد أن انتهى من كلامه تاركًا ’’لنور’’ بعض الوقت لتفكر في ما سمعته فقد بدا عليها علامات التفكير العميق.
ومن بعيد وقف رجل غريب تبدو من هيئته أنه من رجال المقاومة والتابعين للأب ‘‘حامد’’ ولكن في عينه كانت هناك نظرة غريبة تجمع بين الذكاء الشديد والخبث الشديد وهو ينظر إلى ‘‘أحمد’’ و ’’نور’’ نظرة يصعب تحديد المغزى منها.

****

على مدى ثلاثة أيام متصلة عكف ‘‘أحمد’’ في وضع خطة لاقتحام الأرض المحظورة ومعرفة أسرارها و بعد أن اكتملت الخطة في رأسه طلب من الأب ‘‘حامد’’ الاجتماع مع قادة المعارضة لمناقشة هذه الخطة.
أيقن ‘‘أحمد’’ أن تفكير قادة المعارضة تمامًا مثل تفكير الأب ‘‘حامد’’ وأنه مهما حاول توصيل فكرة وجود الخالق جل وعلا لهم سيجد الرفض منهم خوفًا من حدوث فرقة ونزاع بين الناس حول هذا الأمر فرأى في قرارة نفسه أن أنسب طريقة هي تحقيق انتصار كبير على الملك وجنوده مما يجعل ثقة القادة تزداد فيه ويلتف الناس حوله عند سماعهم بالانتصار على الملك فإذا كلمهم بعد ذلك عن أي شيء حتى ولو عن وجود خالق لهذا الكون سيجد آذان صاغية له.
دخل ‘‘أحمد’’ غرفة اجتماعات القادة وهي شبيهة لحد كبير للغرفة التي اجتمع فيها معهم في المرة السابقة، ولكنها كانت أكبر حجمًا من أختها.
وجد ‘‘حامد’’ يجلس على رأس الطاولة وعلى جانبيه يجلس ‘‘خالد’’ بنظراته الحادة وأمامه يجلس باقي أفراد المعارضة وبينهم ‘‘منير’’.

ميز ”أحمد” وسط الجالسين وجود رجلين لم يكونوا موجودين في المرة السابقة تطوع ‘‘حامد” لتقديمهم ”لأحمد”.
أحدهم شاب تبدو عليه علامات القوه ببنيته القوية وعضلات جسده البارزة مما يجعله أشبه بالمصارعين أو أبطال ألعاب القوى، عرفه ‘‘حامد” باسم ‘‘أدهم” وأنه مسئول تدريب شباب المقاومة على أعمال القتال والمواجهة، أما الآخر فكان أكبر من الأول سنًا ويبدو عليه أنه أكبر من الأب ‘‘حامد” نفسه بخصلات شعره البيضاء و علامات الوقار والهيبة البادية عليه عرفه ‘‘حامد” باسم ‘‘مهاب” وهو أحد القلائل الذين نالوا بعض التعليم وحصلوا على بعض المعارف والمعلومات القاصرة على رجال الملك فقط ،فحاله مثل حال والد ‘‘نور” فهو من رجال الملك ويعمل أيضًا لصالح المقاومة.
هذا الرجل هو نفسه الذي كان يقف من بعيد ويراقب ‘‘أحمد” و ”نور” أثناء حديثهم.
بدأ ‘‘أحمد” كلامه ملاحظًا تركيز الرجل بصره عليه كأنه يريد معرفة ما بداخله وما يقف خلفه.
برغم نظرات الرجل المتفحصة ”لأحمد” أحسَّ تجاهه بود وألفة نتيجة لعلامات الطيبة والوقار البادية عليه.

****

بدأ ‘‘أحمد” كلامه بعد تردد واضح كمن لم يعتاد مواجهة جمهور أو عدد كبير من الناس، فبدأ كلامه موضحًا لهم محاولة الملك ومن سبقوه من الملوك منع الناس من معرفة الأسرار المخبأة في الأرض المحظورة وذلك حتى يظل الجميع في جهل تام وعدم معرفة فيسهل بذلك استعبادهم والسيطرة عليهم.
بدأ ‘‘أحمد” في وصف العالم الذي أتى منه وشرح بشيء مبسط بعض الاختراعات العلمية الموجودة في عالمه ولاحظ ‘‘أحمد” عدم اهتمام الحاضرين بما يقول إلا رجل واحد لاحظ ‘‘أحمد” تركيزه و اهتمامه الشديد بما يقول خاصة عندما بدأ الكلام عن عالم آخر غير الذي هم فيه.

كعادته قاطعه "خالد" متسائلًا: هذا الكلام جميل ولكن حتى الآن لم تعرفنا كيف نستطيع اختراق حواجز الأمن المحيطة بالأرض المحظورة.
فأكمل ‘‘أحمد’’ كأنه لم يستمع لكلام "خالد" أو مقاطعته: خطتي تعتمد على عمل مواجهات صغيره مع جنود الملك نختبر من خلالها قدراتنا على المواجهة الشاملة عند محاوله دخول الأرض المحظورة، كما أننا نستطيع من هذه المحاولات الحصول على بعض الأسلحة والمعدات التي ستمكننا بالطبع من مواجهة جنود الملك ومقاومتهم، كما أن هذه المواجهات الصغيرة تُضعف من قوة جيش الملك معنويًا وتزعزع ثقتهم في أنفسهم.
خيم الصمت لمدة دقيقة كاملة داخل الغرفة بعد كلام ‘‘أحمد’’، أنهى هذا الصمت الأب ‘‘حامد’’ بقوله وما هي خطتك بالضبط؟
فبدأ ‘‘أحمد’’ لمدة نصف ساعة كاملة يشرح لهم خطته التي لاقت شيء من الاستنكار من بعض القادة خاصة أن ‘‘أحمد’’ اعتمد فيها على أشياء علمية يجهلها معظم الحاضرين وعند بدء التصويت على تنفيذ خطة ‘‘أحمد’’ وجد أن أكثر المؤيدين له هو ‘‘مهاب’’ الذي بدا شديد الحماسة لما قاله: ‘‘أحمد’’.
انتهى الجدال الدائر بين قادة المقاومة بأن أعلن الأب ‘‘حامد’’ تأييده لخطة ‘‘أحمد’’ وتنفيذها على مسئوليته الشخصية وبالفعل بدأ الجميع في اتخاذ خطوات فعلية لتنفيذ هذه الخطة.

****

أسرع ‘‘مهاب’’ الخُطى ليلحق ’’بأحمد’’ الذي خرج مسرعًا من غرفة اجتماعات المعارضة وفوجئ بمن ينادي عليه باسمه فالتفت خلفه ليجد ‘‘مهاب’’ يقف بوجهه الوقور وشيبته التي تضفي عليه هيبة ووقار.
ابتسم ‘‘أحمد’’ بود وهو ينظر إلى ‘‘مهاب’’ الذي بدأ الحديث قائلًا: أريد أن أتحدث معك قليلًا

‘‘أحمد’’: على الرحب والسعة، تفضل قل ما شئت.
فابتسم له ‘‘مهاب’’ في ود وهو يقول: أنت تعلم أني من القلائل الذين حازوا بفرصة التعلم ومعرفة بعض الأسرار المخبأة في الأرض.
نظر إليه ‘‘أحمد’’ باهتمام شديد منتظرًا منه أن يكمل كلامه فلم يطل عليه ‘‘مهاب’’ فترة الصمت إنما أكمل قائلًا: سمعتك تتكلم عن عالم آخر يشبه عالمنا هذا ،وأنك جئت منه بطريقة مجهولة، أنت نفسك لا تعرفها.
فأشار ‘‘أحمد’’ برأسه علامة الموافقة دون أن يتكلم منتظر الحصول على معلومات أكبر من ‘‘مهاب’’ تفيده فيما هو قادم عليه.
‘‘مهاب’’: لقد قرأت شيء يشبه ذلك منذ فترة طويلة، عندما أتيحت لي فرصة الاطلاع على بعض الأوراق السرية في الأرض المحظورة.
‘‘أحمد’’ مستحثًا ‘‘مهاب’’ على المضي في الكلام: وهل قرأت شيئا عن طبيعة الاتصال والعلاقة بين العالمين؟
سأله "مهاب" بعد تفكير: هل تظن وجود علاقة أو اتصال بين العالمين؟
‘‘أحمد’’ بحماس شديد: ذلك مؤكد فالشواهد كلها تثبت وجود اتصال أو علاقة بين العالمين فاللغة التي تتكلمون بها هي نفس اللغة التي يتكلم بها الناس في موطني ،كما أن كثيرًا من المعدات و الأجهزة في هذا العلم تشبه ما هو معروف في عالمي مثل السيارات و أجهزة مولدات الكهرباء والتي رأيتها بنفسي وأنا متأكد من ذلك بحكم دراستي وعملي.
فرد عليه "مهاب" باهتمام شديد: بمناسبه مولدات الكهرباء هذه، هل أنت واثق من خطتك التي ذكرتها لنا معتمدًا فيها على هذه المولدات؟
فنظر إليه ‘‘أحمد’’ بشيء من الريبة قائلًا: لقد كنت من أكثر المؤيدين لفكرتي فظننت أنك أنت نفسك واثق منها.
فرد عليه ‘‘مهاب’’ بعد صمت طويل: الحقيقة أني أنا أيضًا درست هذه المولدات ،وأصارحك القول أني أعجبت جدًا بخطتك ولكن عمليًا هل تستطيع تنفيذها.

بمجرد أن سمع ‘‘أحمد’’ ذلك الكلام شرد ذهنه وأعاد التفكير في خطته وسأل نفسه هل يستطيع فعلًا تنفيذ ما عزم عليه فقد درس هذا النوع من المولدات الكهربائية ويعرفها جيدًا ،و يعرف كيف يتعامل معها ،ولكن من الناحية العملية هو نفسه غير متيقن من خطته ،ولو فشلت سيكون الثمن فادح في أرواح من سيرافقه من رجال المقاومة أثناء تنفيذ الخطة، وأيضًا لن يثق فيه أحد بعد ذلك أو يقتنع بما يقول.
رغم تردد ‘‘أحمد’’ التفت إلى ‘‘مهاب’’ في عزم وتصميم لم يعهده في نفسه من قبل قائلًا: إن شاء الله ستنجح خطتي.
فابتسم له ‘‘مهاب’’ بثقة وهو يقول سينصرك الله حتمًا.
فنظر إليه ‘‘أحمد’’ بدهشة شديدة وهو غير مصدق ما سمعه من ‘‘مهاب’’ فواضح أنه مؤمن بالله.

****

مع أول بشائر نور الفجر تحركت ثلاثة سيارات من داخل مركز تجمع قادة المعارضة، في إحدى هذه السيارات جلس عشرين شاب من شباب المقاومة تبدو على وجوههم علامات العزيمة والحماس لما هم مقدمون عليه، والسيارة الثانية تم وضع عدد من مولدات الكهرباء بها، هذه المولدات اختارها ‘‘أحمد’’ بنفسه أما السيارة الثالثة فجلس بها ‘‘أحمد’’ ومعه ثلاثة من قيادات المعارضة بينهم ‘‘أدهم’’ ذلك الشاب قوى البنية الذي عرفه ‘‘حامد’’ بأنه مسؤول تدريب الشباب على الأعمال القتالية.
جلس ‘‘أحمد’’ صامتًا في كرسيه وهو يراجع الخطة التي وضعها والتي يرى من وجهة نظره أنها ستحدد مستقبل هذا العالم ،فلو نجحت هذه الخطة ستزداد ثقة رجال المقاومة به ومن خلفهم آلاف من الناس التي سلمت زمام أمورها لرجال المعارضة هذه الثقة هي التي ستجعل كل هؤلاء يقتنعوا بكلام ‘‘أحمد’’ عندما يكلمهم عن الله عز وجل خالق هذا الكون كله ويدعوهم للإيمان به وهذا ما ناقشه مع ‘‘مهاب’’ عندما قال: له ‘‘مهاب’’ جملته الأخيرة سينصرك الله حتمًا فنظر إليه ‘‘أحمد’’ بدهشة بالغة وسأله هل أنت مؤمن بالله عز وجل فرد ‘‘مهاب’’ بخشوع شديد نعم أنا مؤمن بالله مثلك تمامًا و مؤمن أنه

لا إله إلا الله ،وأنه خالق كل شيء في هذا الكون، وسوف أخبرك بشيء آخر هناك العشرات من الرجال مثلي مؤمنين بالله في هذا العالم.
فنظر إليه ‘‘أحمد’’ باستغراب قائلًا: وما الذي يمنعكم من إخبار الناس بذلك.
فرد ‘‘مهاب’’ بشيء من الانكسار: لقد اقتنع كل من هو مؤمن بفكرة وجود خالق لهذا الكون بنفس وجهة نظر الأب ‘‘حامد’’ أن إيمان الناس وتفكيرهم في خالق هذا الكون قد يسبب انشقاق في صفوف المعارضة وانقسامهم مما يضعفها ويجعلها تتقاتل فيما بينها وكل ذلك سيصبح في مصلحة الملك فقررنا جميعًا تأجيل دعوة الناس إلى الله وعبادته حتى يتم القضاء على الملك ونظامه الظالم ،واستبداله بنظام عادل وبعد ذلك ندعوا الناس إلى عبادة الله.
فنظر إليه ‘‘أحمد’’ باستنكار شديد وعدم اقتناع بما يقول قائلًا: الإيمان بالله يعطي للناس دافع للثورة على الظلم والمطالبة بالعدالة والحرية لأن إيمانهم بالله يخلِّصهم من كل خوف وانقياد لأحد غير الله.
نظر إليه ‘‘مهاب’’ نظرة اقتناع لما يقول ثم قال: الأمل فيك والأمر منوط بك وحدك
تذكر ‘‘أحمد’’ هذه الكلمات التي سمعها من ‘‘مهاب’’ وابتسم في قرارة نفسه ،فهو الذي اعتاد الاستسلام والضعف يقود اليوم فرقة من فرق المقاومة لنظام فاسد طال ظلمه عشرات السنين متحديًا ملك جبار يحكم العالم كله بقبضة من الحديد والنار ،ثم يأتي من يقول له أن الأمل فيك.
تعجب ‘‘أحمد’’ من حاله هذا كثيرًا ورغمًا عنه وجد صورة ‘‘نور’’ تسيطر على فكره وعقله في هذا الوقت.
أخذ يدير في رأسه الفكرة التي سيطرت عليه منذ آخر كلام له مع ‘‘نور’’ وهي الزواج منها ولكن ما منعه أن يبوح لها بذلك أنها في هذا الوقت لم تكن مؤمنة بالله فهي غير مسلمة ولا حتى مؤمنة بأي شريعة سماوية فلا يحل له أن يتزوجها فدعي الله عز وجل أن تؤمن بالله وتسلم لله و تكون مثله مسلمة حتى يستطيع الزواج منها.

أخرج ‘‘أحمد’’ من أفكاره توقف السيارة وصوت ‘‘أدهم’’ وهو يأمر رجاله في صرامة بالغة بأن يأخذ كل واحد منهم مكانه حسب الخطة الموضوعة ثم أمر بعض الرجال بإنزال مولدات الكهرباء وبعض الأسلاك الكهربائية التي طلبها ‘‘أحمد’’.
نظر ‘‘أحمد’’ إلى طريق شبه ممهد بين جبلين ثم نقل بصره إلى ‘‘أدهم’’ الذي أكد له أن ذلك الطريق هو نفسه الذي تم تحديده على الخريطة التي معهم أثناء وضع الخطة.
وزع ‘‘أحمد’’ مولدات الكهرباء على جانبي الطريق بمعاونة من معه من شباب المعارضة، وحرص على إخفائها حتى لا يراها أحد من جنود الملك فيفسد عليهم الخطة التي وضعها بعد مجهود كبير.
قام ‘‘أحمد’’ بتوصيل المولدات معًا بطريقة احترافيه باستخدام الأسلاك الكهربائية التي أحضرها معه من المخزن الخاص بالمقاومة وأخفى الأسلاك على طول الطريق بوضع أغصان أشجار وأوراق شجر جافة عليها.
تأكد ‘‘أحمد’’ من امتلاء خزانات المولدات بالوقود البترولي السائل "السولار" للمرة العاشرة، ثم جلس في مكان خفي وبجواره ‘‘منير’’ منتظرًا الجزء الأهم في خطته.

****

جلس ‘‘أحمد’’ جوار ‘‘منير’’ متمتمًا ببعض آيات من القران الكريم و داعيًا الله عز وجل أن يحقق النجاح لخطته، ثم نظر إلى مفاتيح توصيل كهربائية حصل عليها من مخزن الأب ‘‘حامد’’ وقام هو بتوصيلها مع المولدات بطريقة بدائية بحيث يسهل عليه تشغيل مولدات الطاقة الكهربائية عن بعد عندما تحين الساعة المرتقبة لذلك.
راجع ‘‘أحمد’’ في ذهنه للمرة الأخيرة الخطة التي وضعها مع الأب ‘‘حامد’’ ورجال المقاومة معتمدًا على المعلومات التي حصل عليها ‘‘حامد’’ من أحد رجاله العاملين بحكومة الملك بمكان ووقت تحرك قافلة من السيارات المحملة بالأسلحة والذخائر من أحد المعسكرات

التابعة لقوات الحرس الخاص بالملك متجهة إلى قصر الملك تدعيمًا للحراسة المحيطة به.
وضع ‘‘أحمد’’ خطته باستدراج هذه القوات إلى هذا الطريق بين الجبلين بعد إخفاء مولدات الطاقة على جانبيه فإذا مرَّت هذه السيارات فوق الأسلاك الكهربائية التي أخفاها ‘‘أحمد’’ ستصعق بالشحنات الكهربائية التي ستمر بها مما يجعلها غنيمة سهلة في أيدي رجال المقاومة.
انتبه ‘‘أحمد’’ فجأة إلى صوت صيحات قتالية عالية تأتي من بعيد مع صوت ما يشبه الطلق الناري واندفاع بعض شباب المقاومة للاختباء خلف أحد الجبال مارين من خلال الطريق.
لحظات قليلة وظهرت سيارات الجنود عابرة هذا الطريق وهي تطارد رجال المقاومة الذين اختبئوا بطريقة ماهرة في أماكن محددة مسبقًا خلف التلال المحيطة بهم من كل جانب.
بمجرد عبور السيارات من الطريق ودخولها البقعة التي وضع ‘‘أحمد’’ بها أجهزته أسرع ‘‘أحمد’’ إلى معداته وتمتم للمرة الأخيرة ببعض آيات القران ثم قال: توكلت على الله في خشوع شديد أثار إعجاب وانتباه ‘‘منير’’ الجالس جواره يشاهده في صمت دون أن يتدخل في شيء من عمل ‘‘أحمد’’.
فجأة حدثت فرقعة شديدة مع صوت صراخ بعض الجنود وتصاعد أدخنه من السيارات نتيجة لمرور التيار الكهربائي بها.
أسرع ‘‘أحمد’’ بمجرد توقف السيارات عن العمل بإيقاف مرور التيار الكهربي من مولداته وإبطال عملها ثم أشار إلى رجال المقاومة المختبئين بالإسراع بإتمام دورهم في الخطة.
أسرع شباب المقاومة بالسيطرة على الموقف بالقبض على الجنود الذين أصابهم الفزع والخوف الشديد من مشهد مرور التيار الكهربي بالسيارات واحتراق بعضها ،وتم نقل جميع الأسلحة والذخائر إلى السيارات الخاصة بالمقاومة وسط تعليمات ‘‘أدهم’’ بالإسراع في إتمام المهمة والعودة سريعًا قبل أن يمتلئ المكان بقوات الملك.

****

جلس ‘‘أحمد’’ جوار ‘‘منير’’ في طريق الرجوع و بدت على وجهه علامات الهدوء الشديد عكس ما هو متوقع منه ولم ينتبه لنظرات الإعجاب والامتنان في وجوه الجالسين معه في السيارة وعلى رأسهم ‘‘أدهم’’ الذي كان حتى اخر لحظه يشك في قدرة ‘‘أحمد’’ على النجاح في مهمته.

بمجرد اقتراب موكب السيارات من القرية الصغيرة التابعة لرجال المقاومة فوجئ ‘‘أحمد’’ بجموع أهل القرية تقف في استقبالهم في مشهد مهيب على جانبي الطريق فقد وصلت إليهم أخبار انتصار رجال المقاومة في معركتهم.

فوجئ ‘‘أحمد’’ بهتاف أهل القرية باسمه بمجرد أن لامست أقدامه أرض هذه القرية.

ما أزعجه بشدة أنه فوجئ بأهل القرية وهي تحني له جباههم حتى كادت أن تلامس الأرض فانزعج ‘‘أحمد’’ لذلك كثيرًا وهتف فيهم لا تركعوا لغير الله .

لكن وسط الهتاف الشديد وصيحات الفرح المستمر لم يسمعه أحد فوقف في صمت منزعجًا أشد الانزعاج لما يراه.

لمعت في ذهن ‘‘أحمد’’ فكرة أن يستغل فرصة التفاف الناس حوله في هذا الموقف بأن يعرفهم بوجود خالق لهذا الكون.

وقف ‘‘أحمد’’ وسط الناس في مكان مرتفع لكي يكون في مجال رؤية كل من يحيط به من أهل هذه القرية، ونظر إلى وجوههم الممتلئة ثقة به، لكنه تذكَّر في هذه اللحظة مواقف كثيرة مرت عليه في حياته ،هذه المواقف كانت كلها احباطات واخفاقات، تذكَّر فشله في تحقيق ما كان يطمح إليه في عمله ،تذكر ضعفه أمام رئيسه في العمل ،تذكر زوجته وما كان يعانيه معها قبل أن تنتهي حياته معها بالطلاق.

لكنه نفض كل هذه الأفكار من رأسه وابتسم ابتسامة رجل وجد أخيرًا ما كان يبحث عنه طوال حياته ،ثم أطلق زفرة قوية من صدره ووقف

موجهًا حديثه للناس في قوة وحماس على غير عادته قائلًا: قبل أي شيء أريد أن أشكركم على هذا الاستقبال الحافل الذي رأيته منكم وهذه الثقة التي لا استحقها فهذا الانتصار الذي حققناه اليوم ليس لأي أحد منَّا فضل فيه ،إنما هو توفيق من عند الله عز وجل.
وتوقف عن الكلام لحظات ليشاهد أثر كلامه عليهم وعلامة ذلك على وجوههم ،ثم أكمل قائلًا: لعلكم في دهشة مما سمعتموه ولكن هذه هي الحقيقة التي حاول الملك ومن سبقوه من الملوك إخفائها عنكم، ونظر إلى الأب ‘‘حامد’’ نظرة لها دلالة معينة ثم أكمل قائلًا: لقد حاول كل من حكمكم من الملوك قبل ذلك إخفاء هذه الحقيقة عنكم وهي أنه يوجد إله خالق لهذا الكون ورب يدبر شؤن هذا الكون وأنه قوي قادر على كل شيء .
هذا الملك ومن حوله ليسوا إلا خلق من خلق الله عز وجل.
ذلك هو السبب الذي جعل الملك يمنع عنكم هذه الحقيقة حتى يظل الجميع ضعفاء أمامه و يظن الجميع أن الملك هو الأقوى في هذا الكون فتمتلئ القلوب بالخوف والرهبة من الملك وجنوده.
صمت ‘‘أحمد’’ قليلًا ليجد أثر ما قاله عليهم ثم أكمل في خشوع: لعل سر التوتر الدائم والخوف الذي تعيشون فيه هو عدم ادراككم بأن هناك إله قوي ترجعون إليه في وقت الضعف و تطلبون منه في وقت الحاجة، وعدم معرفتكم لسبب وجودكم في هذه الأرض يجعلكم في حالة تخبط وتشتت دائم.
معرفة وجود الله عز وجل تجعل النفوس تهدأ وتزداد ثقة وقوة وقدرة على الاحتمال والصبر.
ظل ‘‘أحمد’’ لمدة ساعة كاملة يشرح لهم صفات الله عز وجل وقرأ لهم شيء من القرآن الذي كان يحفظه وبعد انتهائه من هذا الكلام خيم صمت طويل على جميع الحضور
ظل ‘‘أحمد’’ ينظر إلى وجوههم وهم ينظرون إليه وهو غير مصدق أنه تكلم بهذا الكلام ومواجهة هذا العدد الكبير من الناس وهو الذي كان يخشى مواجهة رؤسائه في العمل أو حتى الاحتكاك بجيرانه.

انتهى اجتماع ‘‘أحمد’’ بأهل القرية وانفض تجمعهم وانصرف الجميع بين مؤيد لما قاله ‘‘أحمد’’ وقد بدأ الإيمان يدخل في قلبه ،وبين معارض لم يقتنع في الأساس بفكرة وجود خالق لهذا الكون وأنهم بعد الموت ستكون لهم حياة أخرى وعالم آخر يعيشون فيه ،إما في نعيم وسعادة، أو في شقاء وبؤس وفريق ثالث من الناس لم يظهر عليه أي انطباع كأن الأمر لا يعنيهم أو كأن شغلهم الشاغل وهمهم في هذه الحياة هو القضاء على الملك وظلمه والتخلص منه وبعد ذلك يكون أي شيء أو يحدث أي شيء.

جلس ‘‘أحمد’’ مع نفسه مفكرًا ومن بعيد لاحظ ‘‘نور’’ وهي تنظر إليه كأنها تريد الكلام معه ،ولكن الخجل يمنعها من ذلك فنهض ‘‘أحمد’’ من مكانه متجهًا نحوها وعينه تحمل الكثير من الكلام الذي لم يجرؤ على النطق به.

وقف ‘‘أحمد’’ أمام ‘‘نور’’ والتقت عينه بعينها التي خفضتها إلى الأرض خجلًا فبادر ‘‘أحمد’’ بالكلام قائلًا: ‘‘نور’’، أريد أن أكلمك في شيء.

فنظرت إليه ‘‘نور ’’مستفهمة منه عما يريد.

فأكمل: كلما نظرت إليك أحس أنك تريدين أن تقولي شيء ،ولكنك تمتنعي عن النطق به.

التفتت إليه ‘‘نور’’ وبعد تردد قالت: أني منذ أن فقدت أمي وأبي وأنا أعيش وحيدة وأملي في هذه الدنيا أن يرجع إليَّ أبي مرة أخرى، ثم نظرت إليه وأكملت بعد تردد عندما علمت من أهل القرية بظهورك في الأرض المحظورة وقدرتك على اجتياز العوائق والحواجز المحيطة بها تعلق أملي فيك أنك قادر على مساعدتي في استرجاع أبي.

نظر إليها ‘‘أحمد’’ بإشفاق شديد ثم قال: اجعلي أملك في الله وليس في أحد من الناس.

لاحظ ‘‘أحمد’’ تجمع الدموع في عين ‘‘نور’’ ثم أجهشت فجأة بالبكاء وهي تنظر إليه نظرة امرأة ضعيفة تطلب العون من الرجل الواقف أمامها فحركت فيه هذه النظرة مشاعر كثيرة واستفذت رجولته الكامنة بداخله فهذه هي أول مرة يحس فيها ‘‘أحمد’’ باحتياج أنثى إليه.

توجه إليها ‘‘أحمد’’ بوجهه وجسده كله ونظر إليها نظرة متفحصة، ثم قال: لها ‘‘نور’’ هل أنت مؤمنه بوجود الله.

فردت عليه ‘‘نور’’ بعد تردد وفترة صمت طويله: نعم أنا مؤمنه بوجود الله

عند سماع ‘‘أحمد’’ هذه الكلمات من ‘‘نور’’ أحس كأن الدنيا كلها قد ابتسمت له وأنه اقترب من تحقيق حلمه الذي كان يطمح إليه ،وهو الزواج من ‘‘نور’’ فنظر إلى عينها وقال لها: هل أنت مستعدة لكي تكوني مسلمة تديني بدين الإسلام وتعاليمه التي ذكرتها أمامك؟

فهزت رأسها نعم ولم تنطق بأي كلمة، فقال: لها ‘‘أحمد’’ رددي خلفي "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد عبده ورسوله".

رددت ‘‘نور’’ خلف ‘‘أحمد’’ هذه الكلمات بخشوع شديد ثم أجهشت بالبكاء

تأملها ‘‘أحمد’’ ولم يحاول أن يقاطعها وتركها لبكائها حتى انتهت من البكاء فنظر إليها قائلًا: ‘‘نور’’ هل تقبلين الزواج مني فلم ترد عليه ‘‘نور’’ إنما أشاحت بوجهها خجلًا وانطلقت تجري بعيدًا عنه ولم ترد عليه.

****

داخل قصر الملك الشاهق أو قلعته الحصينة جلس الملك على عرشه يشتعل غيظًا وأمامه كبار ضباطه وعلى رأسهم قائد قواته يرتعدون خوفًا من غضب الملك بعد هذه الهزيمة التي حاقت بهم والتي تعتبر أول مواجهة فعلية بين المقاومة وجنود الملك.

فعلى مدى حكم الملك الطويل كان الخوف هو المسيطر على نفوس الشعب فلم يجرؤ أحد على المواجهة المباشرة، وما كان يقع بين المقاومة وجنود الملك مجرد مناوشات فردية يحصل فيها المعارضين على بعض قطع السلاح الصغيرة فيتركهم الملك دون اكتراث بهم لعلمه بقدرته على القضاء عليهم في أي وقت يشاء، فكان يتركهم الملك كنوع من التسلية أو كلعبة القط والفأر التي يستمتع القط فيها بفريسته قبل القضاء عليه ،أما الآن فالأمر اختلف والخطر أصبح يهدد نظام الملك نفسه بعد ظهور هذا الرجل الغريب مما يستدعي تدخل سريع لسحق المعارضة والقبض على "أحمد" بأي ثمن.

زفر الملك زفرة شديدة من صدره كأنه يخرج نار من صدره ثم وجه حديثه في غضب لمن أمامه قائلًا: ألا تخجلون من أنفسكم بعد ما حدث؟

وصمت قليلًا منتظرًا أي رد من رجاله فلم يجرؤ أحد منهم على الكلام مما جعله يستشيط غضبًا فصرخ فيهم : هل ابتلعتم ألسنتكم؟ فتلعثم أحد الضباط وتكلم ببضع كلمات غير مفهومة قطعها مكتفيًا بصمته أمام نظرات الملك القاسية وهو ينظر إليه بغضب شديد.

تكلم فجأة قائد الجنود في حماس قائلًا: نحن نعلم مكان القرية التي يتمركز بها المتمردين فيمكننا عمل هجوم كاسح والقضاء على كل رجال المقاومة والقبض على الرجل الغريب بضربة واحدة.

نظر إليه الملك نظرة نارية ثم سرح بفكره قائلًا: ليس الآن، سأتولى أنا هذا الأمر.

نظر إليه الجميع بدهشة وعدم فهم لما يدور في خاطر الملك الذي أشار لهم بيده علامة الانصراف وانتهاء اجتماعه بهم.

****

جلس الملك يفكر في صمت شديد لا يقطعه سوى صوت طرقات متقطعة من عصا ذهبية في يده على مسند عرشه ثم تكلم بصوت

منخفض جدًا يكاد لا يسمعه أحد سواه: طوال هذه السنوات وأنا انتظر هذه اللحظة التي أفهم فيها السر الأكبر المخبأ في هذه الأرض وبمجرد أن تأتي هذه الفرصة تضيع من يدي بهذه السهولة.
ثم ضرب بعصاه الأرض بقوة وقام من مقامه بانفعال شديد قائلًا: لابد من القبض على هذا الغريب بأي ثمن فعنده السر الأكبر المخبأ داخل الأرض المحظورة.
ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة شرسة وهو يقول في نفسه سأجعله يأتيني بقدميه ثم تحولت ابتسامته إلى ضحكة شيطانية رهيبة.

****

طرق "مهاب" باب غرفة "أحمد" و انتظر قليلًا حتى سمع صوت "أحمد" وهو يتحرك داخل غرفته متجهًا إلى باب الغرفة ليفتح له وهو يبتسم بود مستقبلًا "مهاب" الذي بادله بابتسامة مماثلة وهو يقول له: أود الحديث معك قليلًا.
"أحمد" بترحاب: تفضل ذلك من دواعي سروري
فتكلم "مهاب" بعد فترة صمت: لقد كانت خطبة ناجحة التي ألقيتها على الناس وقد تأثر بها الكثير منهم.
ابتسم "أحمد" بخجل: ليست خطبة بالمعنى المفهوم فأنا لست خطيبًا.
نظر إليه "مهاب" نظرة لها مغزى معين وهو يقول: ولكن لعلك لاحظت انقسام الناس حول الكلام الذي سمعوه منك.
فهم "أحمد" ما يرمي إليه "مهاب" فنظر إليه بحدة وهو يقول: شيء طبيعي أن ينقسم الناس حول أي شيء يسمعوه فليس لكل الناس نفس العقل.
وبعد فترة صمت قال له: كل إنسان من حقه الاقتناع أو عدم الاقتناع بما يسمع.
تكلم "مهاب" قائلًا: ولكن هذا ما كان يخشاه الأب "حامد" أن يقع بين الناس ،وقد وقع بالفعل

تكلم ‘‘أحمد’’ بهدوء وهو ينظر إلى عينيه مباشرة قائلًا: سيد ‘‘مهاب’’ أنت من المؤمنين بوجود الله عز وجل وقد تناقشنا قبل ذلك في هذا الأمر، و رأيت أنك تدرك حقيقة هذه الدنيا وتدرك وجود الآخرة والجنة والنار.
انتظر ‘‘أحمد’’ أن يجد رد فعل من ‘‘مهاب’’ تجاه ما تكلم به فأكمل عندما لم يجد منه غير الصمت: فهل تستحق هذه الدنيا الفانية أن نضحي بالآخرة من أجلها؟
تكلم "مهاب" بعد فترة من التفكير قائلًا: أنت على حق يا ‘‘أحمد’’ ولكن الله أمرنا بمحاربة الظلم وعدم الخضوع للظالم؟
‘‘أحمد’’ باهتمام: نعم
‘‘مهاب’’ إذًا علينا مواجهة الملك وظلمه وعدم الخضوع له.
‘‘أحمد’’ مصدقًا على كلام ‘‘مهاب’’: وهل يوجد تعارض بين إيماننا بالله ومواجهة ظلم الملك بل أن إيماننا بالله هو ما يدفعنا لذلك.
لمعت عيني ‘‘مهاب’’ كمن وجد بغيته وهو يقول: إذًا لابد من التعجيل باقتحام الأرض المحظورة.
‘‘أحمد’’ بعد تفكير: وهل تظن أن إمكانيات رجال المقاومة تؤهلهم لمثل هذه المواجهة.
فصمت ‘‘مهاب’’ كمن فقد شغفه لما كان عازمًا عليه ثم تكلم بفتور: وما هي خطتك في المرحلة القادمة؟
فسرح ‘‘أحمد’’ ببصره وهو ينظر إلى الأرض دون أن يرد عليه.

****

خلال الأشهر التالية لهذه الأحداث توطدت علاقة ‘‘أحمد’’ برجال المقاومة حتى ‘‘خالد’’ الذي كان شديد التحفظ تجاه ‘‘أحمد’’ أبدى له كثيرًا من الود بعد أن كسب ‘‘أحمد’’ ثقة رجال المقاومة.
كما أن أهل القرية أصبح أملهم في ‘‘أحمد’’ أنه القادر على القضاء على الملك وظلمه وإنهاء فترة حكمه الظالمة التي استمرت لثلاثون عامًا، هي مدة حكم الملك بعد قتله لأبيه.

خلال هذه الأشهر نفذت المقاومة كثير من العمليات ضد قوات الملك استطاعت فيها تكبيد جنود الملك كثير من الخسائر كما أن رجال المقاومة غنموا كثيرًا من المعدات والأسلحة، هذه الانتصارات أعطتهم ثقة كبيرة في أنفسهم ومكنتهم من أي مواجهة مرتقبة مع قوات الملك تمهيدًا لاقتحام الأرض المحظورة.

الشيء الذي كان يقلق "أحمد" والذي لفت انتباه الأب "حامد" ومعه كثير من قيادات المقاومة هو عدم وجود أي رد فعل من قوات الملك تجاه هذه الضربات المتتالية التي وجهتها المقاومة لجنود الملك، مما جعل الأب "حامد" يثير هذه المسألة في أحد الاجتماعات التي عقدت في مقر تجمع رجال المقاومة.

الأب "حامد": هناك مسألة تحيرني و تثير قلقي أود أن أناقشها معكم

نظر إليه جميع الحضور بانتباه شديد فأكمل قائلًا: خلال الأشهر الماضية استطعنا توجيه عدد من الضربات الناجحة لقوات الملك لم يعقب أحد من الحضور على كلام "حامد" سوى "أحمد" الذي قال: الحمد لله أننا نجحنا في ذلك.

فلم يعلق "حامد" على كلام "أحمد" إنما قال: الشيء المحير في هذا الأمر هو عدم وجود أي رد فعل من جنود الملك تجاه ما فعلناه.

فظهر التفكير على وجوه الحاضرين بما فيهم "أحمد" وبدأ القلق يرتسم على وجوه بعضهم فأسرع "مهاب" معقبًا على ذلك بقوله: لابد أن الملك أحس بقوة المقاومة فأصابه وجنوده الخوف من الهزيمة إذا حاول توجيه ضربة انتقامية لنا.

نظر إليه "حامد" وجميع الحضور بعدم اقتناع فأكمل بحماس قبل أن يقاطعه أحد: فرصتنا الآن أفضل من أي وقت آخر باقتحام الأرض المحظورة قبل أن ينظم الملك قواته ويوجه إلينا ضربة انتقامية كبرى قد لا نستطيع مواجهته فيها.

لم يبد ترحيب من أحد لكلام "مهاب" ورغم ذلك أكمل بنفس حماسته: وعندي خطة لذلك تتلخص في توجيه هجوم مكثف على البوابة الشرقية للأرض المحظورة مما يجذب انتباه كل قوات الحراسة لهذا المكان بينما يتسلل "أحمد" ومعه بعض الشباب الفدائيين بعبور

البوابة الغربية وسيجدونني في انتظارهم بحكم صلاحياتي بدخول الأرض المحظورة فأصل معهم إلى الغرفة الرئيسية التي تحوي كل أسرار الأرض المحظورة وسر القوة فيها.
أخذ ‘‘مهاب’’ يلهث من فرط انفعاله وحماسته ولكنه لاحظ عدم الترحيب أو الاقتناع بخطته من قادة المقاومة الحاضرين حتى ‘‘أحمد’’ بدا عليه الشك في جدوى خطة ‘‘مهاب’’ مما جعل ‘‘حامد’’ يتكلم قائلًا: سنعرض هذه الخطة على قيادة الفرق القتالية للمقاومة للموافقة عليها أو تعديلها.
وكان غرض ‘‘حامد’’ من هذا الكلام عدم إحراج ‘‘مهاب’’ وإثارة حفيظته تجاه الحضور إذا رفضوا خطته.

****

استمر ‘‘أحمد’’ في دعوة أهل القرية إلى وجود خالق لهذا العالم ،وأن هذا الخالق يستحق العبادة، وبدأ يشرح لهم الشيء اليسير من تعاليم الدين الحنيف.
استغل ‘‘أحمد’’ ثقة أهل القرية فيه ودعاهم إلى عبادة الله والإيمان به ولم يحاول ‘‘أحمد’’ التطرق إلى الأمور التي قد تسبب انقسام بين الناس أو الخلافات المذهبية أو الدينية والتي أدت إلى حروب طاحنة في عالمه الذي أتى منه ،إنما كانت دعوته منصبة فقط على الدعوة إلى الحب والرحمة والتسامح واظهار عدالة الدين الإسلامي ومحاربته للظلم ورفضه الاعتداء على الآخرين.
أحس ‘‘أحمد’’ بأن الله اختاره لهذا العالم ليكون كالأنبياء والرسل في عالمه ولكنه نفض هذه الفكرة من رأسه مستعيذًا بالله من الشيطان الرجيم ،فمقام الأنبياء والرسل أعظم وأجل بكثير من مقامه كبشر عادي يصيب ويخطئ، إنما هو إنسان عادي مثل كل الناس اختاره الله لحكمة لا يعلمها إلا الله ليكون في هذا العالم لأداء رسالة معينة به أو بغيره كانت ستؤدى في الوقت الذي أراده الله عز وجل لهداية عباده.

تأمل ‘‘أحمد’’ في حاله هذا وكيف تحول فجأة من رجل محبط مستسلم للظروف المحيطة به إلى رجل يسعى لتغيير العالم كله يقود جيش من المعارضين متحديًا ملك جبار يخافه الناس ويرهبوه.

فهم ‘‘أحمد’’ حقيقة مهمة أن الإنسان هو الذي يصنع ظروفه بنفسه وأنه القادر على تغييرها إذا أصبح عنده الهدف لذلك ’’فأحمد’’ في هذا العالم هو نفسه ‘‘أحمد’’ الضعيف المنهزم في عالمه لم يتغير فيه شيء إنما إرادته لتغيير من حوله هي التي غيرت شخصيته ليصير على ما هو عليه.

لعل حبه ’’لنور’’ ومحاولة صنع عالم أفضل له ولها هو الذي دفعه لتغيير هذا العالم ومواجهة الظلم فيه.

لعله في هذا العالم وجد من يحتاج إليه ومن يعلق آماله عليه فنظر إلى الضعفاء في هذا العالم فأحس بالمسؤولية تجاههم.

لعل نظرة ‘‘نور’’ له واحتياجها إليه حركت الرجولة الكامنة بداخله واحتياجات أي ذكر بإشباع الرغبة الذكورية بداخله بإحساسه لاحتياج الأنثى إليه واعتمادها عليه فتحرك تلبية لها.

لعل احساس ‘‘أحمد’’ بالمسؤولية العظمى تجاه عالم كامل لا يؤمن بوجود الله عز وجل هي التي دفعته لأن يتحول من مجرد رجل عادي لا علاقة له بدينه غير الصلوات الخمس التي يؤديها وصيام رمضان إلى رجل مصلح وداعي إلى الله يقف مقام الأنبياء لتبليغ دعوة الله للناس.

إنه إذًا فعلًا الإحساس بالمسؤولية.

قطع أفكار ‘‘أحمد’’ فجأة منظر ‘‘منير’’ وهو يسرع إليه عدوًا وعلى وجهه علامات الانزعاج والقلق الشديد وهو يهتف به: لقد خطف جنود الملك ‘‘نور’’.

****

بمجرد سماع ‘‘أحمد’’ خبر اختطاف ‘‘نور’’ وسقوطها في قبضة الملك جن جنونه وأسرع إلى حيث يجتمع ‘‘حامد’’ مع قادة المعارضة.
‘‘أحمد’’ بغضب شديد: هل صحيح الخبر الذي سمعته من ‘‘منير’’ عن نبأ القبض على ‘‘نور’’.
فرد ‘‘حامد’’ بحزن واضح: للأسف الخبر صحيح ولا نعرف كيف حدث ذلك، لقد كانت ‘‘نور’’ في القرية وفجأة اختفت.
‘‘أحمد’’ بانفعال قائلًا: كيف علمتم بأنها في قبضة الملك؟
رد ‘‘خالد’’ هذه المرة قائلًا: رجالنا في قصر الملك هم من أخبرونا بذلك.
‘‘أحمد’’ بلهفة: هل علمتم مكانها تحديدا؟
فرد ‘‘خالد’’ بحذر شديد: نعم أنها في سجن خاص داخل الأرض المحظورة.
فأسرع ‘‘أحمد’’ قائلًا بانفعال شديد: وماذا ننتظر إذًا؟ علينا التعجيل باقتحام الأرض المحظورة و تنفيذ الخطة التي وضعها ‘‘مهاب’’.
هنا تدخل ‘‘حامد’’ في الكلام قائلًا بهدوء قائد يعلم عاقبة التسرع في اتخاذ القرارات لابد من التعقل في هذا الأمر فلابد أن الملك يتوقع منا خطوة مثل هذه وأنه ينتظرنا وأعد العدة لذلك.
فتدخل ‘‘أدهم’’ في الكلام قائلًا: خطوة مثل هذه وفي هذا الوقت تعتبر نوع من الانتحار.
فلما يئس ‘‘أحمد’’ منهم تركهم وانصرف وقد تملكه الهم والحزن وفي رأسه تدور أفكار كثيرة.

****

جلس ‘‘أحمد’’ على صخرة كبيرة وسط القرية في حزن وهم، فهو لا يتخيل أبدًا أن تضيع منه ‘‘نور’’ بهذه السهولة.
لقد ظل عمره كله محروم من هذا الشعور الجميل الذى يجعل أي رجل يحارب الدنيا كلها من أجله ألا وهو الإحساس باحتياج امرأة

إليه فلما وجد هذا الاحساس وعاش هذه المشاعر، فجأة تضيع منه هذه المرأة التي أحبها.
وفجأة لمعت في رأسه فكرة جنونية عزم على تنفيذها حتى وإن كان ثمنها حياته نفسها.

****

في قاعة الحكم وقف الملك ناظرًا بشماتة إلى ‘‘نور’’ المقيدة أمامه والدموع تملأ وجهها في خوف وقهر ظاهر على ملامحها.
اقترب منها الملك وجذبها من شعرها بقسوة بالغة قائلًا: هل تخيلتِ أنك ستظلين طويلًا مخبأة و بعيدة عن قبضتي، قريبًا سيتم اعدامك أنت وأبيكِ الخائن لكن بعد أن أحصل على ما أريد.
فنظرت إليه ‘‘نور’’ باستغراب فأكمل قائلًا: ستكونين أنتِ الوسيلة التي استدرج بها ‘‘أحمد’’ إلى هنا وأحصل منه على ما أريد.
ثم أطلق ضحكة جونية وهو يكمل: وبعد أن أحصل منه على ما أريد سيتم قتله في نفس اليوم الذي ستموتين فيه مع أبيكِ.
نظرت إليه ‘‘نور’’ كأنها ترى أمامها رجل مجنون وسألته بحذر: ماذا تريد من ‘‘أحمد’’؟
فرد عليها الملك أريد أن أعرف منه السر الأكبر، سر القوة الكامنة داخل الأرض المحظورة.
نظرت إليه ‘‘نور’’ بدهشة شديدة وسألته: أليس أنت المالك للأرض المحظورة والمتمكن من كل أسرارها؟!
فنظر إليها الملك بغضب شديد قائلًا: ليس هذا من شأنك، ثم أشار إلى جنوده إشارة معناها أن يأخذوها إلى سجنها الذي ستُسجن فيه.
ثم جلس الملك مفكرًا في صمت في ما هو مقبل عليه.

****

أسرع "أحمد" الخُطى يبحث عن "مهاب" حتى وجده في بيته منكبًا على كتبه يقرأ فيها.
حيَّاه "أحمد" فرد عليه "مهاب" التحية وهو ينظر إليه وإلى لهفته الواضحة على وجهه كأنه يعرف مسبقًا سبب مجيء "أحمد" إليه.
بدأ "أحمد" الكلام قائلًا: سيد "مهاب" أريد أن أحدثك بشيء.
فرد عليه "مهاب": تفضل كلي آذان صاغيه.
"أحمد": لابد أنك علمت خبر القبض على "نور".
فرد "مهاب": نعم وقد حزنت كثيرًا بمجرد سماع ذلك.
"أحمد" بانفعال شديد: لابد من انقاذ "نور" وإخراجها من السجن.
وجه إليه "مهاب" نظره قائلًا: هل لديك خطة محددة.
فرد "أحمد" بحماس شديد: لابد من دخول الأرض المحظورة وتخليص "نور" منها.
"مهاب": هذا القرار لابد من التعقل في اتخاذه فنحن لا نعرف عواقب رد فعل الملك فلابد أنه يتوقع منا شيء مثل هذا فلابد من التمهل في اتخاذ هذا القرار.
فضرب "أحمد" على سطح المنضدة التي أمامه قائلًا بانفعال شديد: ماذا أصابكم جميعا؟ ذلك نفس كلام الأب "حامد"، هل أصبحتم متخاذلين فجأة لهذه الدرجة؟
جلس "مهاب" بجوار "أحمد" ليهدئه بقوله: اهدأ يا "أحمد" فانفعالك لن يفيد "نور" في شيء وعلينا التفكير بتعقل قبل العزم في أي أمر.
نظر إليه "أحمد" بحدة قائلًا: منذ أن بلغني نبأ خطف "نور" وكأن عقلي قد ذهب فلا أستطيع التفكير بعقل.
نظر إليه "مهاب" بخبث كمن وجد بغيته قائلًا: وماذا تريد مني تحديدًا؟
فرد "أحمد" بأسلوب مباشر: مساعدتي في دخول الأرض المحظورة.
"مهاب" بعد تفكير وتمهل: أترك لي هذا الأمر لعدة أيام لكي أرتب لك كيفية دخول الأرض المحظورة.
"أحمد" بلهفة: لا أستطيع الانتظار.

فنظر إليه ‘‘مهاب’’ نظرة ذات معنى ولم يرد عليه.

****

بعد يومين فقط التقى ‘‘مهاب’’ ’’بأحمد’’ الذي استقبله بلهفة قائلًا: هل وجدت الطريقة التي سندخل بها إلى الأرض المحظورة؟
فابتسم له ‘‘مهاب’’ قائلًا: نعم وصمت قليلًا ليجد رد فعل قوله على ‘‘أحمد’’ الذي أسرع قائلًا بلهفة شديدة: كيف ذلك؟
‘‘مهاب’’ بهدوء شديد كمن يزن كل كلمة ينطق بها: أنت تعلم أني أؤدي وظيفة مهمة داخل الأرض المحظورة، فستدخل معي كأنك مساعد لي في عملي وسأمدك بكل المعلومات التي ستمكنك من العبور معي دون كشف هويتك.
‘‘أحمد’’ بلهفة شديدة: ومتى ذلك؟
‘‘مهاب’’ بسرعة :غدا.
فالتقت عيني ‘‘مهاب’’ بأعين ‘‘أحمد’’ التي امتلأت عزيمة وتصميم على تنفيذ المهمة ولم يتكلم أحد منهم بكلمة زائدة عن ذلك.

****

بعد يوم واحد من هذا اللقاء التقى ‘‘أحمد’’ ’’بمهاب’’ في المكان المتفق عليه .
نظر ‘‘أحمد’’ إلى اللفافة التي يحملها ‘‘مهاب’’ قائلًا: ما هذا؟
فقدم إليه ‘‘مهاب’’ هذه اللفافة قائلًا: ارتدي هذه الملابس فهي مخصصة للعاملين في الأرض المحظورة، ثم ألقى عليه سيل من المعلومات عن الأرض المحظورة و كيفية الرد على أسئلة الحراس المحيطين بالمكان وكيفية التعامل مع العاملين بها وكلمة السر المتفق عليها لعبور البوابات.

عندما تيقن ‘‘مهاب’’ من حفظ ‘‘أحمد’’ لهذه المعلومات استعدا معًا للتحرك تجاه الأرض المحظورة، فنظر ‘‘أحمد’’ إلى السماء بخشوع قائلا: توكلنا على الله.

****

تحرك ‘‘أحمد’’ بحذر شديد جوار ‘‘مهاب’’ وهم يقتربون من البوابة الرئيسية للأرض المحظورة.

أحس ‘‘أحمد’’ بارتفاع نبضات قلبه كألف مطرقه تنزل على رأسه فيسمع صوتها يدوي في أذنيه فتمتم ببعض آيات القران الكريم ليهدئ من روعه.

تعجب ‘‘أحمد’’ للمرة الألف من حاله اليوم، وقارن بين نفسه اليوم وهو يتجه إلى هذا المجهول متحديًا أقوى قوى الشر في هذا العالم من أجل من يحب ،وبين حاله في عالمه الآخر على كوكب الأرض بتخاذله واستسلامه وهروبه الدائم من أمام أي مشكلة تواجهه.

لقد اقتربنا هل أنت مستعد؟

انتبه ‘‘أحمد’’ لصوت ‘‘مهاب’’ وهو ينبهه باقترابهم من الهدف المرتقب فنظر أمامه ليجد مباني عظيمة تحيط بها أسوار عالية مضاءة بمصابيح هائلة، المصباح الواحد منها كأنه شمس مشرقه تكفي لإضاءة العالم كله.

نظر ‘‘أحمد’’ إلى الحراس والجنود المحيطين بالأسوار الشاهقة في خوف ،ثم التفت إلى ‘‘مهاب’’ يتزود منه بالقوة التي يحتاجها ،فابتسم له ‘‘مهاب’’ مشجعًا إياه ثم قال له: دقائق قليلة ونصل لأول بوابة، لا تنسى كلمة السر.

نظر الجندي الواقف على البوابة الرئيسية إلى ‘‘مهاب’’ باحترام وتبجيل ثم نظر إلى ‘‘أحمد’’ الواقف جواره باستغراب و توجه بالسؤال إلى ‘‘مهاب’’ من هذا؟

فرد ‘‘مهاب’’ بثقة أنه مساعدي الأول فلدينا أعمال هامة لابد من إنجازها اليوم.

فنظر الحارس إلى ‘‘أحمد’’ بشك قائلًا: ليس عندي تعليمات بدخول أحد معك.
‘‘مهاب’’ بثقة: يمكنك الاتصال برؤسائك أو بجلالة الملك نفسه أن شئت ولكن بسرعة فليس عندنا وقت نضيعه طوال اليوم في هذه المهاترات.
اهتز الجندي أمام لهجة ‘‘مهاب’’ الواثق فيها من نفسه ثم تكلم في جهاز بيده يشبه أجهزة اللاسلكي في عالمنا وبعد أن استمع إلى محدثه أشار لهم بعلامة الموافقة على الدخول معتذرًا ’’لمهاب’’ على التأخير معللًا ذلك أنها اجراءات أمنية مشددة.
نظره ‘‘أحمد’’ بدهشة شديدة ممزوجة بشيء من الشك إلى ‘‘مهاب’’ مستفهمًا منه عن كيفية حدوث ذلك ،فابتسم ‘‘مهاب’’ بثقة وهو يرد عليه: لقد أعددت كل شيء ولا تنسى أن لنا رجال بالداخل يعملون لحساب المقاومة.
فسار ‘‘أحمد’’ جواره ولم يعلق على ما سمعه من ‘‘مهاب’’ وهو يتجه معه إلى مبنى كبير محاط بحراسة مشددة أكثر من الموجودة عند البوابة الرئيسية
بعد اجتياز المبنى الآخر والدخول إليه اتجه ‘‘مهاب’’ ومعه ‘‘أحمد’’ إلى قاعة كبيرة يبدو من شكلها أنها القاعة الرئيسية أو القاعة الأكبر في هذا المبنى.
دخل ‘‘أحمد’’ هذه القاعة ففوجئ بعشرات الأجهزة الحديثة التي تشبه أجهزة الحاسب الآلي في عالمنا، كما لاحظ وجود شاشات مراقبة ترصد كل حركة تدور داخل أو خارج الأرض المحظورة.
أدار ‘‘أحمد’’ بصره في ما حوله بذهول شديد ثم التفت إلى ‘‘مهاب’’ الذي لم يجده بجواره فأدار جسده إلى آخر القاعة ليجد ‘‘مهاب’’ واقف جوار رجل عظيم الهيئة بما عليه من ملابس مزركشة و مزينة بالذهب وهو ينظر إليه بابتسامة ساخرة قائلًا: كنت على يقين بأنك ستأتي إلى هنا بقدميك.

نظر إليه ‘‘أحمد’’ بدهشة وشك قائلًا: من أنت ؟ فرد عليه صوت قاسي خارج من فم أحد الجنود المحيطين بالمكان في لهجة آمره: انحنى لجلالة الملك أيها الغريب.

****

أسرع ‘‘منير’’ عدوًا إلى حيث يوجد الأب ‘‘حامد’’ ومعه باقي قادة المعارضة ليخبره بنبأ غياب ‘‘أحمد’’ وعدم وجوده في أي مكان.
فرد عليه ‘‘حامد’’ بتوجس قائلًا: هل بحثت عنه في كل مكان؟
فرد ‘‘منير’’ بقلق شديد: نعم ولكن أحد الرجال أخبرني بأنه شاهده مع ‘‘مهاب’’ عند طرف القرية أول النهار ولم يشاهده بعد ذلك.
نظر ‘‘حامد’’ إلى من حوله من رجال المقاومة قائلًا بخوف شديد: هل تظنون أنه أقدم على ما كان يسعى إليه بإنقاذ ‘‘نور’’ مهما كان الثمن كما ذكر.
فلم يرد عليه أحد من الحضور ،إنما بدت على وجوههم علامات القلق الشديد فجأة طرق أحد الرجال على باب المكان الذي يجتمع فيه رجال المقاومة ودخل سريعًا قبل أن يأذن له أحد بالدخول قائلًا في فزع شديد: لقد بلغني أخبار بسقوط ‘‘أحمد’’ في قبضة الملك
ثم سكت قليلًا وأكمل في حسرة وحزن ومن أبلغني بهذا الخبر أنبأني بأن ‘‘مهاب’’ هو الذي سلمه للملك.

****

وجه ‘‘أحمد’’ نظره إلى ‘‘مهاب’’ بمزيج من الحسرة والغضب الشديد قائلًا: آخر ما كنت أتوقعه أن تكون أنت الخائن الذي يعمل لحساب الملك.
فرد ‘‘مهاب’’ بسخرية شديدة: كلامك هذا فيه ثناء كبير على، فهذا دليل على نجاحي في خداعكم جميعًا طوال هذا الوقت.
‘‘أحمد’’ بكلمات كلها لوم وعتاب: لكنك أخبرتني أنك مؤمن بالله.

فرد عليه ‘‘مهاب’’ بسخرية شديدة: وما المانع في ذلك ثم انقلبت لهجته من السخرية إلى الجد قائلًا: ألم تخبرني أنه في عالمك يوجد كثير من الناس يعينون حكامكم في ظلمهم لشعوبهم وعندما سألتك هل هؤلاء الناس مؤمنين بالله ؟أخبرتني أنهم مؤمنين بالله ،والحكام أيضًا مؤمنين بالله لكنهم ظالمين.

فرد ‘‘أحمد’’ بحزن: نعم أخبرتك بذلك ولكن هذا ليس مبرر ل...

فقاطعهم الملك بصوت هادر وغضب شديد: كفى، هل نسيتم أنكم في حضرتي؟ لا مجال لأي أحاديث جانبية بينكم في وجودي، أنا فقط الذي يسمح بالكلام.

فتكلم ‘‘مهاب’’ كلمات كلها اعتذار للملك بينما اكتفى ‘‘أحمد’’ بالصمت مكتفيًا بمراقبة ما أمامه.

التفت الملك إلى ‘‘أحمد’’ قائلًا: أنت الوحيد هنا القادر على حل السر الأكبر المخبأ بداخل الأرض المحظورة.

فنظر إليه ‘‘أحمد’’ بدهشة شديدة قائلًا: أليست أسرار الأرض المحظورة قاصرة عليك وعلى من يعمل معك وأنتم الوحيدين على علم ودراية بها.

أمر الملك أحد معاونيه بتشغيل أحد الشاشات أمامه ليظهر عليها شكل بناء هرمي كبير جدًا.

نظر ‘‘أحمد’’ بذهول شديد إلى هذا البناء الهرمي الضخم الذي يشبه الهرم الأكبر الموجود في بلده مصر ،ثم التفت إلى الملك متسائلًا بذهول شديد: ما هذا؟

الملك باقتضاب: هذا البناء الذي أمامك متوارث منذ زمن بعيد وبداخله السر الأعظم للأرض المحظورة ولا أحد هنا يعرف ما بداخله أو ماذا يحوي؟

تساءل ‘‘أحمد’’ بحذر شديد: وما المطلوب مني؟

الملك بهدوء: المطلوب منك أن تساعدنا على معرفة ما بداخل هذا الشيء.

ثم سكت الملك قليلًا وأكمل بهدوء: العاملين هنا يستطيعون فقط التعامل مع المعدات المختلفة الموجودة حولك ،ثم أشار إلى أجهزة

الكمبيوتر المحيطة به قائلًا: أما هذه الأجهزة المرتبطة بهذا البناء الغريب والمسؤولة عنه فلا يستطيع أحد فهمها أو التعامل معها.
تظاهر "أحمد" بعدم الفهم محاولًا معرفة أكبر قدر من المعلومات فقال للملك: وكيف عرفت أني أستطيع التعامل مع هذه الأجهزة الغريبة؟
أشار الملك لأحد معاونيه فأخرج جهاز كمبيوتر محمول (لاب توب) من حقيبة معه وقدمها للملك وهو يحني رأسه باحترام وتبجيل شديد فأخذ الملك الجهاز منه دون أن ينظر للرجل أو يعطيه أي اهتمام و قال "لأحمد": لقد وجدنا هذا الجهاز في السيارة التي كنت فيها وهو يشبه كثيرًا هذه الأجهزة الموجودة أمامك ،ثم صمت الملك ليرى أثر كلامه على "أحمد" فأكمل عندما لم يجد أي رد فعل ظهر على وجهه قائلًا: المطلوب منك أن تخبرني بما تحتويه هذه الأجهزة من أسرار وتخبرني كيف أستطيع الاستفادة منها؟ والأهم من ذلك كيفية دخول المبني الهرمي ومعرفة ما بداخله .
فرد "أحمد" بتحدي: وإذا لم أفعل، ماذا سيحدث؟
نظر إليه الملك بسخرية شديدة ثم أشار لأحد رجاله الواقفين خلفه إشارة معينة بيده فأسرع الرجل إلى أحد الأبواب الجانبية وفتحها ليظهر خلف الباب المغلق "نور" وهي مقيدة اليدين وزائغة الأعين تنظر بخوف شديد إليهم.
استشاط "أحمد" غضبًا عندما وجد "نور" على هذه الهيئة، والتفت إلى "مهاب" بغضب شديد قائلًا: هذه هي الطريقة التي استخدمتها لاستدراجي إلى هذا المكان إذًا.
فلم يرد عليه "مهاب" خوفًا من بطش الملك الذي رد على "أحمد" بتفاخر قائلًا: كل ذلك كان خطتي أنا، لقد أمرت قائد الجنود بعدم اتخاذ أي رد فعل تجاه هجمات المتمردين حتى تظن أنك أصبحت قادر على اختراق الأرض المحظورة أنت وهؤلاء البلهاء الذين معك فتجد رجالي في انتظارك.

أكمل الملك قائلًا: وعندما لم تستجيب لطلب "مهاب" باقتحام الأرض المحظورة انتقلت إلى الخطة البديلة بخطف "نور" فأجبرك بذلك على أن تأتي بنفسك لكي تنقذها.
التفت "أحمد" ببصره إلى "نور" التي وجدها في حالة يرثي لها من الخوف والفزع فنقل بصره إلى الملك قائلًا: وماذا ستفعل بنا بعد معرفة السر المخبأ في هذا المبني؟
فرد عليه الملك بغير اهتمام قائلًا: سأترككم تعيشون كيف شئتم فلا حاجة لي بكم بعد ذلك.
نظر إليه "أحمد" بشك وريبة قائلًا: وما هي الضمانات التي تضمن لي ذلك؟
فنظر إليه الملك بغضب شديد قائلًا: كيف تجرؤ على التشكيك في كلامي، أنني هنا الملك ولا أخلف أي كلمه أعد بها أي أحد.
لم يثق "أحمد" في كلام الملك فهو على يقين أن الملك سيقتله بمجرد معرفة هذا السر الذي يريد معرفته، فلن يقبل الملك أبدًا باشتراك أحد معه في معرفة هذا السر الخفي.
فكر "أحمد" أنه ليس لديه أي حيلة يفعلها غير الانقياد لطلب الملك كما أن "أحمد" نفسه يريد معرفة الأسرار الكثيرة المحيطة بهذا المكان، وكذلك حل لغز هذا العالم الغريب الذي وجد نفسه فيه.
فتكلم "أحمد" بعد فترة صمت وتفكير قائلًا: حسنًا سأفعل لك ما تريد.
فابتسم الملك بانتصار وزهو كبير.

****

في غرفة اجتماعات "حامد" مع قيادات المعارضة ظهر التوتر والانفعال واضح على وجوه الجميع وهم يتابعون الأب "حامد" الذي بدا عليه الحزن الشديد و الأسى وهو يتكلم قائلًا: آخر ما كنت أتوقعه هو خيانة "مهاب" لنا.

فتكلم "منير" بحزن قائلًا: لقد أحب جميع رجال المقاومة "أحمد" حتى الذين لم يقتنعوا بكلامه حول وجود الخالق إلا أنهم أحبوه كثيرًا وكذلك جميع أفراد القرية أحبوه والتفوا حوله.

تكلم "أدهم" بحماس شديد قائلًا: شباب المقاومة متحمسين لعمل أي شيء لإنقاذ "أحمد" من بين يدي الملك الظالم.

ثم نظر إلى الأب "حامد" وأكمل بحماسة أشد: كلهم في انتظار إشارة للهجوم الشامل على الأرض المحظورة.

تكلم "خالد" هذه المرة بهدوء شديد على غير طبيعته المعتادة قائلًا: لقد علَّمنا "أحمد" الكثير وعرفنا منه حقيقة هذه الحياة التي نحياها وتعلمنا منه أن الإيمان بالله يجعل الإنسان يعيش في سعادة دائمة لذلك فهو يستحق منا أن نخاطر من أجله ونسعى لإنقاذه بأي ثمن.

نظر إليهم الأب "حامد" نظرة رجل يعرف حجم المسؤولية الملقاة عليه وتكلم قائلًا: كلنا أصابنا الحزن بسبب القبض على "أحمد" ولكن تذكروا دائمًا كلام "أحمد" عندما قال لكم أنه ليس أكثر من رجل عادي قد يموت في أي وقت ،أما هدفنا الأساسي هو القضاء على ظلم الملك ،وتذكروا كلامه أيضًا أننا يجب أن نعبد الله وحده ولا نقدس أي أحد من الناس ،فإذا مات "أحمد" أو تم القبض عليه فعلينا أن نستكمل مسيرتنا ولا نبتعد أبدًا عن هدفنا الأساسي.

فنظر إليه "منير" بمزيج من الحزن والأسي قائلًا: هل معنى كلامك أننا سنضحي "بأحمد" و نتركه؟

صمت "حامد" قليلًا ثم نظر في وجوههم قائلًا: لن نتركه أبدًا ،ولكننا سنتحرك بتعقل من دافع المسؤولية التي حمَّلنا إيَّاها الشعب.

فجأة سمع الجميع صوت مرتفع بالخارج وصياح شديد فطلب "حامد" من "منير" الخروج لمعرفة الأمر.

بعد دقائق قليلة عاد ‘‘منير’’ وعلى وجهه علامات الانفعال الشديد وهو يقول: جموع أهل القرية ثائرين بعد معرفتهم خبر القبض على ‘‘أحمد’’، فسأله ‘‘حامد’’ باهتمام وما الذي يريدونه؟

فرد عليه ‘‘منير’’: الكل يريد مواجهة الملك واقتحام قصره والسيطرة على الأرض المحظورة.

ثم صمت ‘‘منير’’ قليلًا ليستجمع شتات نفسه ثم أكمل قائلًا: مهما كانت التضحيات هم مستعدين لها.

نظر الجميع بعضهم لبعض ثم تكلم ‘‘أدهم’’ بحماس شديد: هذه هي اللحظة التي كنا ننتظرها منذ أمد بعيد، لحظه الثورة على الملك الظالم.

تكلم ‘‘خالد’’ بانفعال أشد: هذه فرصة لا بد أن نستغلها ،فهذه أول مرة يجمع الناس فيها على المواجهة الشاملة مع قوات الملك.

التقط منه ‘‘أدهم’’ طرف الكلام وتكلم كأنه يهتف قائلًا: لأول مرة يتخلى الناس عن الخوف الذي ظل مسيطر عليهم لسنوات طويله.

فتكلم ‘‘منير’’ بخشوع شديد: الإيمان بالله الذي ملأ قلوبهم هو الذي نزع الخوف من هذه القلوب.

نظر إليهم ‘‘حامد’’ وفي رأسه تدور ألف فكرة ثم سيطرت عليه كلمة ‘‘خالد’’ عندما قال هذه فرصة لا بد أن نستغلها.

****

نقل ‘‘أحمد’’ بصره فيما حوله داخل غرفة التحكم الرئيسية الخاصة بالأرض المحظورة وأحصى الأجهزة التي تملؤها ولاحظ وجود شاشات عرض تنقل عن طريق كاميرات مراقبة موزعة في كل مكان كل ما يدور داخل الأرض المحظورة وحول أسوارها.

جلس ‘‘أحمد’’ أمام الأجهزة التي تشبه أجهزة الكمبيوتر في عالمه وبدأ يتفحص مكوناتها باهتمام وشغف شديد ،وبدأ يسترجع كل ما درسه وتعلمه عن أجهزة الحاسب الألي و أنظمة التشغيل المختلفة.

خطة ‘‘أحمد’’ اعتمدت على إقناع الملك بإعطائه حرية دراسة هذه الأجهزة وفحصها دون تحديد وقت لذلك حتى يتمكن من معرفة أسرار هذه الأجهزة وفك لغز السر المخبأ في الأرض المحظورة.
أكثر ما أثار دهشة ‘‘أحمد’’ وفضوله أكثر لمعرفة سر الأرض المحظورة هو وجود هذا البناء الهرمي والذي يشبه كثيرًا أهرامات مصر ،مما أكد له وجود علاقة بين هذا العالم وعالمه الذى أتى منه.
أراد ‘‘أحمد’’ ضمان مزيد من الوقت معولًا في ذلك على رجال المقاومة، فقد يستطيعون فعل أي شيء لإنقاذه هو و ’’نور’’ كما أن رغبته في معرفة سر ما حوله وتفسير الغموض المحيط بهذا العالم الغريب جعلته يسعى بشغف شديد لحل لغز وسر هذه الأرض.
ظل ‘‘أحمد’’ قرابة العشرة ساعات يحاول فهم نظام تشغيل أجهزة الحاسب الموجودة أمامه ،فقد وجدها قريبة الشبه من الأجهزة الموجودة في عالمه على كوكب الأرض ،ولكن نظام تشغيلها مختلف عن أنظمة تشغيل الأجهزة التي يعرفها.
استخدم ‘‘أحمد’’ برامج فك الشفرات وكلمات المرور الموجودة على حاسبه المحمول (اللاب توب) والذي حصل عليه من الملك، استخدم هذه البرامج لمعرفة كلمة السر الخاصة بالدخول على نظام تشغيل الجهاز الرئيسي.
أحسَّ ‘‘أحمد’’ بعد مئات وربما آلاف المحاولات لتجربة كلمات المرور بألم شديد في رأسه نتيجة للضغط العصبي الذي تعرض له وهو جالس أمام هذه الأجهزة المعقدة مما جعله ينهض من مقامه لأخذ قسط من الراحة بعد أن اجتاز الجزء الصعب من العمل.

****

جلس الملك في قاعة العرش مع ‘‘مهاب’’ الذي أحنى رأسه بذل وخضوع واضح أمام الملك الذي سأل ‘‘مهاب’’ بكبرياء واضح: هل تظن أنه يستطيع معرفه هذا السر الكامن منذ الاف السنين؟

رد ‘‘مهاب’’ بحذر شديد خوفًا من التلفظ بأي كلمة قد تُغضب الملك قائلًا: واضح من كلامه وما قام به طوال هذه الأشهر الماضية أنه على علم كبير بهذه الأجهزة المعقدة التي ذكر اسمها باسم أجهزة الكمبيوتر .
تكلم الملك بأسلوب يظهر فيه الجشع الشديد: لو عرفنا هذا السر سيضمن ذلك لنا القوه والسيطرة المطلقة على هذا العالم كله.
تساءل ‘‘مهاب’’ بعد تردد شديد و حذر: وإذا أتم هذه المهمة، هل ستتركه و ’’نور’’ أحياء؟
فنظر إليه الملك نظرة قاسية ثم أطلق ضحكة عالية انقلبت بعدها سحنته كهيئة شيطان خرج لتوه من الجحيم وهو يقول بقسوة بالغة: لن يشترك معي أحد في معرفة هذا السر.
فارتجفت أوصال ‘‘مهاب’’ فزعًا أمام نظرة وأسلوب الملك ولم يتكلم بعدها بكلمة واحدة.

****

استراح ‘‘أحمد’’ قليلًا ثم نهض بنشاط وحماس شديد ينم عن رغبته وشغفه في اكتشاف سر هذا العالم الغريب الذي وجد نفسه فجأة فيه.
أكمل ‘‘أحمد’’ ما بدأه من محاولات لاجتياز عائق عدم معرفة كلمة المرور لنظام تشغيل جهاز الحاسب الرئيسي المتحكم في كل شيء وفجأة ظهرت أمامه هذه الرسالة التي يحفظها كل من يهتم باختراق بوابات الحماية و أنظمة الأمان لشبكات المعلومات، هذه الرسالة التي تفيد بإمكانية الدخول على نظام التشغيل ومعرفة كل المعلومات المخبأة بداخله دون تلف أي جزء منها فابتسم ‘‘أحمد’’ بانتصار شديد وهو يفتح أول نافذة أمامه مستعدًا لمعرفة سر الأرض المحظورة.
تفحص ‘‘أحمد’’ ملفات نظام تشغيل الجهاز أمامه وتعجب من كونه يشبه كثيرًا أنظمة التشغيل الموجودة في عالمه الذي أتى منه، ثم فتح ملف أمامه مكتوب عليه (الوطن الأم)
بمجرد فتح هذا الملف بدأ عرض فيلم تسجيلي يظهر فيه كوكب الأرض من بعيد بالصورة التي نعرفها جيدًا ثم ازداد تكبير و توضيح

الصورة أكثر ليظهر شكل تضاريس الكرة الأرضية بما تحتويه من جبال وبحار وأنهار، ظهرت على الشاشة أمام "أحمد" مخلوقات غريبة يعرفها جيدًا من شكلها ولكنها غير موجودة في عالمه.
ميز "أحمد" من بين هذه المخلوقات ديناصورات ضخمة، وزواحف عملاقة، وطيور انقرضت منذ آلاف السنين، تمامًا مثل التي نراها في الأفلام الأسطورية.
تحولت الصورة بعد ذلك إلى قاعة ضخمة يجلس فيها رجل تبدو عليه علامات الهيبة والوقار بشعره الأشيب الذي جعله أشبه بالعلماء وهو يتكلم عن حضارة عظيمة كانت موجودة على كوكب الأرض منذ آلاف السنين، وبلغت هذه الحضارة درجة عظيمة من العلم والتقدم التكنولوجي ربما يفوق ما نحن عليه الآن.
لكن نتيجة لرغبة حاكم وملك هذه الحضارة في السيطرة والإحساس بالقوة المطلقة، بدأ بتوجيه العلماء لتصنيع أسلحة تدمير شاملة تجعله الحاكم الأوحد لهذا الكوكب.
زفر الرجل المتكلم بحزن واضح وهو يكمل قائلًا: وبالفعل استطاع العلماء تصنيع سلاح عظيم قادر على تدمير عالم بأكمله ،ولكن عند محاولة تجربة هذا السلاح لم يستطع علماء هذه الحضارة السيطرة على التجربة، فحدث انفجار عظيم زلزل الأرض كلها مع انبعاث غازات سامة دمرت معظم أشكال الحياة على كوكب الأرض ومن بينها هذه الحيوانات المنقرضة.
نظر "أحمد" أمامه بذهول شديد متكلمًا بصوت منخفض لا يسمعه أحد غيره: إذًا ذلك سبب انقراض الديناصورات من على كوكب الأرض ،ثم نظر إلى الشاشة أمامه بشغف وفضول شديد ليعرف ما حدث بعد ذلك.
أكمل الرجل المتكلم بنفس النبرة الحزينة: تم نقل الملك بعد ذلك ومعه صفوة الناس والعلماء إلى مخبأ معد قبل ذلك تحسبًا لأي طارئ، هذا المخبأ تم إعداده ليكون ضد اختراق الأشعة الضارة و الغازات السامة تاركين باقي المجتمع ليواجه مصيره بالخارج.

بدأ تفكير العلماء يتجه إلى عدم إمكانية الحياة على كوكب الأرض ربما لعشرات السنين القادمة حتى يتخلص الكوكب من آثار هذا الدمار الذي حدث فيه ،ويزول أثر انبعاثات الغازات السامة التي خلَّفها الانفجار.

بدأ العلماء دراسة إمكانية الانتقال للحياة على كوكب بديل للأرض حتى يعود كوكب الأرض لما كان عليه ،ثم يعودون إليه بعد ذلك، لكن لم يجدوا من بين الكواكب المعروفة كوكب يصلح لحياة الإنسان عليه.

اكتشف أحد العلماء فجأة وجود ترابط بين أجزاء الكون بطريقة معقدة جدًا عن طريق ما يشبه بوابات ،إذا تم فتح أحد هذه البوابات تنقلك إلى أماكن بعيدة جدًا ربما تصل لعشرات السنوات الضوئية في لحظة.

بعد دراسة عميقة تم اكتشاف إمكانيات فتح أحد هذه البوابات بشرط الحصول على طاقة هائلة جدًا تكفي لفتحها.

تكلم "أحمد" بذهول شديد: إذًا نظرية الممرات الدودية التي تمر من خلال الثقوب السوداء صحيحة.

ثم فكر بعمق كمن بدأ يفهم الكثير قائلًا: الطاقة الهائلة الناتجة عن الصاعقة التي حدثت على الطريق الصحراوي أثناء سفري هي التي تسببت في فتح أحد هذه البوابات ومن خلالها انتقلت إلى هذا المكان الغريب أو هذا الكوكب.

نظر "أحمد" مرة أخرى إلى الشاشة التي أمامه متابعًا لما يحكيه الرجل: بعد عدة محاولات استطاع العلماء إيجاد هذه الطاقة الهائلة وفتح بوابة بين عالم الأرض وهذا العالم الآخر.

تم نقل كل مقومات التقدم والعلم التي امتلكتها هذه الحضارة إلى هذا العالم الآخر لتبدأ فيه حياة جديدة تاركين خلفهم عالمهم السابق على الحالة التي هو عليها.

ظهرت على الشاشة صورة لبناء هرمي ضخم ،وبدأ الرجل يتكلم قائلًا: تم بناء هذا الهرم العظيم وتم وضع داخله وسيلة لإنتاج هذه الطاقة الهائلة التي من خلالها يمكن فتح البوابة مرة أخرى بين هذا

الكوكب والأرض للعودة للوطن الأم مرة أخرى بعد تحسن أحوال الحياة فيه.
انتهى كلام الرجل وبدأ ‘‘أحمد’’ يفكر بعمق فيما يجب عليه فعله بعد أن فهم كل شيء.
بدأ ‘‘أحمد’’ يفكر محدثًا نفسه بصوت خافت لا يسمعه أحد غيره: بعد تدمير مقومات الحياة على كوكب الأرض تم نقل كل شيء إلى الأرض المحظورة، ولكن على ما يبدو أنه بمرور السنين مات من كان يعرف هذا السر ومن جاء بعدهم لم يعرفوا إلا القشور القليلة التي مكنتهم من استخدام المعدات والأسلحة التي تم نقلها إلى هنا فقط.
وبعد مرور الوقت زاد عدد الناس وانقسموا إلي فئة الحكام وفئة عامة الشعب وأصبح ممنوع على عامة الشعب تعلم أي نوع من العلوم حتى لا يمتلكوا القوة التي تمكنهم من الخروج على نظام الحاكم، أو الملك في أي وقت، أما الفئة الحاكمة أو المقربين من الملك هم فقط المتاح لهم معرفة علوم الأرض المحظورة التي تمكنهم من مساعدة الملك على الحكم.
فهم ‘‘أحمد’’ بذلك سبب التشابه الكبير بين عالم الأرض و هذا العالم الغريب ،فالمقومات التي قامت عليها كل حضارة واحدة ،فلا بد إذًا أن يسير التقدم في كل عالم على نفس النمط، لكن الشيء الذي لم يفهمه ‘‘أحمد’’ هو سبب تكلم هذه الحضارة باللغة العربية، و انتقال هذه اللغة معهم إلى هذا العالم.
لم يتوقف ‘‘أحمد’’ كثيرًا أمام عدم فهم سبب تشابه اللغة فعنده الأهم من ذلك وهو معرفة الطريقة التي سيتمكن بها من العودة مرة أخرى إلى الأرض.

****

ظل ‘‘أحمد’’ طوال الليل يتقلب في فراشه وهو يفكر في الطريقة التي تمكنه من استخدام مصدر الطاقة الموجود في المبنى الهرمي للعودة به إلى الأرض مرة أخرى وأخذ يتخيل نفسه عند عودته إلى الأرض والشهرة التي تنتظره، فهو أول رجل يثبت عمليًا وجود ترابط بين

أجزاء الكون كأنه وحدة واحدة وإمكانية التنقل بين أجزاء الكون وبين كواكبه عن طريق ممرات مختصرة، وهو أول رجل في التاريخ ينتقل إلى عالم آخر ويعود منه بهذا الكم من المغامرات والمعلومات.

بدأ "أحمد" يتخيل نفسه والقنوات الفضائية تتسابق لتنال شرف مقابلته واسمه الذي يتصدر كبرى الجرائد العالمية.

فجأة استيقظ "أحمد" من أحلام يقظته على الواقع الذي هو فيه الآن والآلاف من البشر في هذا العالم الذين عقدوا آمالهم عليه في انقاذهم من ظلم الملك، وهؤلاء الناس الذين لا يعرفون عن خالقهم شيء، و "نور" تلك المرأة الوحيدة التي أحبها ومستعد للتضحية بنفسه من أجلها.

بدأ تفكير "أحمد" يتجه وجهة أخرى ،و بدأت عشرات الأفكار تتسارع في رأسه حتى استقر تفكيره أخيرًا على رأي واحد وفكرة واحدة وخطة واحدة وضعها عقله لينهي كل هذا الصراع.

ارتاح بال "أحمد" لهذه الفكرة وأحسَّ براحة كبيرة ونام بعدها نوم عميق.

****

طلب "أحمد" مقابلة الملك ليخبره بما توصل إليه بشأن السر الكامن في الأرض المحظورة منذ آلاف السنين.

نظر الملك بكبرياء شديد إلي "أحمد" الذي دخل إلي قاعة العرش بعد فترة انتظار بالخارج تعمد الملك أن يجعلها تطول لرغبة في داخله.

أشار الملك بيده إلى "أحمد" ليجلس أمامه دون أن يكلمه بكلمة واحدة، فتعمد "أحمد" عدم البدء بالكلام منتظرًا رد فعل الملك تجاه طلب "أحمد" لمقابلته.

تكلم الملك بهدوء شديد: هل عندك جديد؟

تكلم ‘‘أحمد’’ وهو يتفحص وجه الملك قائلًا: لقد توصلت إلى معرفة السر المخبأ بداخل البناء الهرمي.

حاول الملك مداراة انفعاله وهو يتكلم بهدوء: وما هو؟

لم يحاول ‘‘أحمد’’ خداع الملك ليقينه بمراقبة الملك له طوال الوقت بل يقينه بتكليف من يعد عليه أنفاسه حتي خلال نومه ،فتكلم بوضوح مستغلًا طمع الملك ورغبته في امتلاك أسباب القوة والسيطرة فقال له: بداخل هذا المبني مصدر لإنتاج الطاقة يكفي لإمداد المملكة بما تحتاجه من طاقة لأعوام طويلة ثم أكمل كلامه بعد فترة صمت: كما أنه يمكن إنتاج أقوى الأسلحة باستخدام هذه الطاقة المولدة.

سال لعاب الملك لكلمات ‘‘أحمد’’ وتكلم محاولًا إخفاء لهفته: وكيف يمكننا الاستفادة من مصدر الطاقة هذا؟

شعر ‘‘أحمد’’ أنه أصاب ما كان يطمح إليه فتظاهر بالتفكير العميق ثم قال: يجب أولًا الدخول إلى المبنى الهرمي ودراسة مصدر الطاقة ومعرفة امكانياته وكيفية تشغيله والاستفادة منه.

سأله الملك بلهفة واضحة: وهل توجد طريقة للدخول؟

صمت ‘‘أحمد’’ قليلًا ليستفز جشع الملك أكثر ثم تكلم بهدوء: يوجد مدخل خفي لا يتم الدخول إليه إلا بشفرة سرية موجودة داخل برنامج جهاز الحاسب الرئيسي، ودون أن يعطي للملك فرصة للتفكير تكلم ‘‘أحمد’’ بسرعة قائلًا: يمكن نقل هذه الشفرة إلى جهاز موجود في سيارتي باستخدام هذا الجهاز مع جهاز الحاسب المحمول الخاص بي (اللاب توب) يمكننا فتح هذا المدخل والوصول إلى داخل المبني

وإلى مصدر الطاقة وبعد ذلك يسهل علينا معرفة طريقة تشغيل هذا المصدر والاستفادة منه.

نظر "أحمد" إلى وجه الملك ليري رد فعل كلامه عليه فتكلم الملك بلهفة واضحة مما أكد "لأحمد" نجاح خطته وهو يقول: وما المطلوب لفعل ذلك؟

فرد "أحمد" بسرعة: أريد الذهاب إلى المكان الموضوع به سيارتي لأحصل منها على الجهاز المطلوب.

نظر الملك إلى "أحمد" بشك فلم يعطيه فرصة للتفكير وقال بسرعة: بالتأكيد سأكون محاط بالجنود من كل مكان فلا يوجد مكان للهرب!

تكلم الملك بعد تفكير قائلًا: حسنًا، لك ذلك.

"أحمد": لي طلب أخير.

الملك: وما هو؟

"أحمد": أريد رؤية "نور" والاطمئنان عليها .

تكلم الملك وهو ينظر إلى وجه "أحمد" ليستشف ما بداخله: لك ذلك أيضًا ،وسيصحبك الجنود إلى حيث توجد "نور".

فابتسم "أحمد" بظفر بعد أن شعر بأن خطته تسير كما يريد.

****

طرق ‘‘أحمد’’ باب غرفة ‘‘نور’’ وانتظر قليلًا ثم طلب من الجندي المرافق له بفتح الباب ففتحه الجندي وهو يبتسم بسخرية فلم يعتاد التعامل بهذا الأدب الواضح مع السجناء أو المغضوب عليهم من الملك.

نظرت ‘‘نور’’ بدهشة شديدة عندما وجدت ‘‘أحمد’’ أمامها ورغمًا عنها ابتسمت بشيء من الارتياح بعد إحساسها بالأمان لمجرد رؤيتها ‘‘لأحمد’’ الذي بادر بالكلام معها وهو يطمئن عليها بقوله: كيف حالك يا ‘‘نور’’؟ هل أصابك مكروه طوال الفترة الماضية؟

ردت ‘‘نور’’ بهدوئها المعتاد: الحمد لله، لم يؤذيني أحد طوال الفترة الماضية.

ابتسم ‘‘أحمد’’ بسعادة بالغة بمجرد سماعه من ‘‘نور’’ كلمة "الحمد لله" فقد شعر بأنها استجابت لكلامه في دعوته لها هي ولغيرها لمعرفة الخالق جل وعلا.

تكلم ‘‘أحمد’’ مطمئنا ‘‘نور’’ بقوله: قريبًا إن شاء الله سنخرج من هنا.

نظرت إليه ‘‘نور’’ بدهشة بالغة اختلطت بشيء من الأمل في الخروج من سجنها التي وجدت نفسها فيه دون أي ذنب منها، فأكمل ‘‘أحمد’’ بقوله: سنتزوج إن شاء الله بعد الخروج مباشرة.

أشاحت ‘‘نور’’ بوجهها خجلًا من كلام ‘‘أحمد’’ الذي أكمل: اجعلي ثقتك بالله.

حاولت ‘‘نور’’ الرد عليه ولكن سبقها الجندي المصاحب ’’لأحمد’’ مقاطعًا لهما بقوله: المهلة التي حددها جلالة الملك انتهت، يجب الانصراف الآن.

نظر إليه ‘‘أحمد’’ بغيظ ثم التفت إلى ‘‘نور’’ وهو يودعها بكلمات رقيقة ابتسمت لها ‘‘نور’’ بخجل واضح ولم ترد عليه.

****

بمجرد خروج ‘‘أحمد’’ من المبنى المحتجزة به ‘‘نور’’ وجد أمامه عدد كبير من الجنود الأشداء في انتظاره لاصطحابه إلى حيث وضعت سيارته.

انتبه ‘‘أحمد’’ جيدًا للطريق المؤدي إلى مكان سيارته وحاول تمييزه بعلامة واضحة حتي يسهل الرجوع إليه في الوقت المناسب.

وصل الجنود مع ‘‘أحمد’’ إلى مبنى شبيه بالمخازن القديمة، فتح أحد الجنود باب المخزن الحديدي وهو يشير إلى ‘‘أحمد’’ بالدخول خلفه حيث وضعت سيارته.

توقف ‘‘أحمد’’ أمام السيارة قليلًا ،وقام بفحصها من الخارج للتأكد من سلامتها ،ثم فتح الباب وقام بفحص محتويات السيارة جيدًا من الداخل للتأكد من سلامتها.

حاول ‘‘أحمد’’ إدارة السيارة للتأكد من قابليتها للعمل فوجد الجنود التفوا حولها في تحفز شديد فأشار إليهم بالهدوء وعدم القلق ،ثم تظاهر بفحص بعض المكونات داخل سيارته.

انتهى ‘‘أحمد’’ من عمله وخرج من السيارة وهو يحمل بين يديه جهاز هاتف جوال (محمول) وحرص على حمله بعناية شديدة وحذر

حتي يقنع من حوله بخطورة ما يحمله بين يديه، مما جعل رئيس الجنود ينظر إليه في شك قائلًا: ما هذا؟

نظر إليه ‘‘أحمد’’ بغلظة قائلًا بصرامة: هذا شيء سري يخص الملك ويمكنك سؤاله عنه إن أردت.

ارتجف الرجل خوفًا بمجرد ذكر اسم الملك وأسرع بمغادرة المكان وهو يشير ’’لأحمد’’ بالسير خلفه والجنود محيطين به من كل مكان.

****

دخل ‘‘أحمد’’ قاعة الملك محاطًا بالجنود الذين انحنوا بمجرد رؤيتهم للملك الجالس أمامهم في عظمة وكبرياء مما جعل ‘‘أحمد’’ ينظر إليهم بازدراء شديد، أشار الملك للجنود بالخروج فيما عدا عدد محدود من حرس الملك الشخصي الذين ظلوا متواجدين في قاعة العرش.

نظر الملك بدهشة إلى ما يحمله ‘‘أحمد’’ بين يديه قائلًا: ما هذا؟

رد ‘‘أحمد’’ وهو ينظر بحذر إلى الهاتف المحمول بين يديه: هذا الجهاز سيتم من خلاله فتح بوابة الدخول إلى المبني الهرمي.

نظر الملك إليه بشك وهو يسأله: هل أنت واثق من كلامك؟

فرد ‘‘أحمد’’ بثقة: نعم.

الملك محذرًا: هل تعلم العقوبة التي تنتظرك إذا فشلت؟

‘‘أحمد’’ بثقة أكبر: نعم أعلم.

فرد الملك بأسلوب كله تهديد: ليس لك وحدك ولكن ’’لنور’’ أيضًا.

فرد عليه ‘‘أحمد’’ بأسلوب حاول أن يظهر فيه الصدق والثقة مما هو مقبل عليه: أنا متأكد من قدرتي على ذلك.

الملك: حسنًا، ما هي الخطوة القادمة؟

‘‘أحمد’’: سأتوجه الآن إلى حيث توجد أجهزة الحاسب المتحكمة في الأرض المحظورة وبعد نقل شفرة الدخول إلى الجهاز الذي معي سأتوجه مباشرة إلى المبنى الهرمي لكي أفتحه.

فرد الملك بسرعة: لن تذهب بمفردك، ثم أكمل بعد فترة صمت قليلة: سأكون معك، ثم التفت الملك إلى الجنود حوله موجهًا أوامره لهم بشموخ وكبرياء: بعد انتهائه من عمله بغرفة الأجهزة أحضروه إلى هنا فورًا.

أحنى الجنود رؤوسهم علامة الخضوع لأوامر الملك دون أن يجرؤ أحدهم على التفوه بكلمة واحدة في حضرة الملك الذي أشار لهم بيده علامة الانصراف .

نظر الملك إلى حيث خرج ‘‘أحمد’’ بصحبة الجنود وفي رأسه تدور عشرات الأفكار كلها تتجمع عند نقطة واحدة وهي الشك في صدق ‘‘أحمد’’.

****

اتجه ‘‘أحمد’’ إلى الغرفة الخاصة بالتحكم في كل صغيرة وكبيرة بداخل الأرض المحظورة، استجمع ‘‘أحمد’’ أفكاره واسترجع في ذهنه الخطة التي وضعها ثم اتجه إلى جهاز الحاسب الرئيسي الذي يحوي كل معلومة تخص البناء الهرمي الذي يحوي مصدر الطاقة القادر على فتح فجوة بين العالمين.

قام ‘‘أحمد’’ بنقل بعض الملفات إلى جهاز الكمبيوتر المحمول (اللاب توب) ثم قام ببعض التعديلات على البرنامج الرئيسي الخاص بتشغيل مصدر الطاقة الموجود بداخل البناء الهرمي، بعد ذلك قام بتوصيل جهاز الهاتف المحمول بجهاز الكمبيوتر الرئيسي حتي يوهم من يراقبه بأهمية الجهاز الذي أحضره من السيارة.

بعد انتهائه من عمله توجه بنظره إلى الجنود المرافقين له قائلًا: انتهى العمل هنا وباقي العمل في البناء الهرمي.

رد عليه رئيس الجنود بصرامة: يجب أولًا التوجه إلى جلالة الملك.

تظاهر ‘‘أحمد’’ بعدم الاهتمام وهو يقول: حسنا، هيا بنا.

****

تكرر نفس المشهد السابق داخل قاعة الملك حيث انحنى الجنود بمجرد رؤيتهم لملكهم الذي التفت إلى ‘‘أحمد’’ بلهفة واضحة حاول أن يخفيها بقوله: هل انتهيت من عملك؟

رد ‘‘أحمد’’ بهدوء محاولًا عدم إظهار أي انفعال: انتهيت من الجزء السهل من العمل، ثم صمت قليلا ليرى رد فعل الملك تجاه ما قاله فأكمل بقوله: باقي العمل سيكون بداخل البناء الهرمي.

نظر إليه الملك بشك قائلًا: وما المطلوب الآن؟

‘‘أحمد’’: سنتجه الآن إلى البناء الهرمي ،ونحاول فتحه وبعد ذلك سيتم دراسة كل شيء بداخله ومعرفة طريقة الاستفادة منها، ثم أكمل ‘‘أحمد’’ سريعًا دون أن يعطي للملك أي فرصة للتفكير: هذا الأمر سيحتاج وقت كبير.

نظر إليه الملك بشك ثم تكلم محذرًا: تذكر دائمًا أنك ستكون محاط طوال الوقت برجالي وعند أول بادرة للغدر منك، أنت تعلم ما ينتظرك وينتظر "نور".

حرك "أحمد" رأسه علامة فهم معنى تهديد الملك دون أن يتفوه بكلمة واحدة ،مما جعل الملك ينظر إليه بغضب ثم التفت إلى جنوده ليأمرهم بإعداد الموكب الذي سيتحرك به.

****
*

طوال الأيام الماضية تحول مقر تجمع رجال المقاومة إلى ما يشبه خلية النحل ،فالكل يتحرك ويعد ويرتب للحظة الحاسمة التي طال انتظارهم لها.

لحظة الثورة على الملك الجائر والقضاء عليه تماما.

وقف الأب "حامد" في صمت وهو ينظر إلى رجاله وهم يتحركون أمامه بنشاط وحماس في كل اتجاه لإعداد ما يلزمهم لخوض هذه المعركة المصيرية ، ونظر إلى قادة المقاومة وهم يوجهون رجالهم في كل اتجاه مع بعض الكلمات التشجيعية التي تحفزهم وتثير وتحفز همتهم.

زفر "حامد" بحزن واضح وهو يلتفت إلى "منير" الواقف جواره قائلًا: يبدو أني كنت مخطئ منذ زمن بعيد.

التفت إليه "منير" مستفهمًا عما يقصد بقوله هذا فرد عليه "حامد": كنت أظن أن انشغال الناس بقضية وجود خالق لهذا العالم ستفرِّق كلمتهم وتصرفهم عن الهدف الأساسي وهو محاربة ظلم الملك.

نظر ‘‘منير’’ بتأثر شديد إلى الدموع التي فاضت من عيني ‘‘حامد’’ فهذه أول مرة يرى فيها دموعه حتى يوم موت ابنه في أحد المعارك التي خاضها ضد جنود الملك وقف ‘‘حامد’’ أمام رجال المقاومة بثبات وقوة، لكن اليوم يراه على هذه الحالة كاعتراف منه وندم على السنوات الطويلة التي قضاها الناس دون معرفة الله خالق كل شيء وكأنه المسؤول عن ذلك.

أكمل ‘‘حامد’’ بتأثر شديد: الإيمان بالله أعطى للرجال قوة هائلة وثقة كبيرة تجعلهم مستعدين لمواجهة أي صعاب.

أكمل ‘‘منير’’ كلام ‘‘حامد’’ بقوله: ولا تنسى البسطاء من أهل القرية المستعدين بالتضحية بأنفسهم في سبيل القضية التي آمنوا بها.

انتبه ‘‘حامد’’ فجأة إلى قادة المقاومة الواقفين أمامه وعلى رأسهم ‘‘أدهم’’ و ’’خالد’’ وهم يخبروه بالانتهاء من التجهيزات الأولية لما يحتاجه المقاتلين أثناء مواجهتهم مع جنود الملك.

نظر ‘‘حامد’’ بفخر شديد إلى الرجال الواقفين أمامه بعزيمة وثبات ثم قال لهم: الآن سنراجع خطتنا الأخيرة قبل البدء في التنفيذ.

واتجه أمامهم إلى مكان اجتماعه بهم لوضع اللمسات الأخيرة لحربهم الشاملة ضد الملك وجنوده.

****

خرج ‘‘أحمد’’ من قصر الملك وركب السيارة المعدة لنقله إلى حيث البناء الهرمي ، وفوجئ بموكب مهيب من السيارات تحرك ليقف أمام بوابة القصر الرئيسية منتظرًا خروج الملك الذي تعمد التأخر كعادته

حتي يطول انتظار الرجال له بالخارج تأكيدًا لعظمته وسلطته على كل من حوله.

أخيرًا خرج الملك بزهوه وغطرسته وهو يسير ببطء فوق السجاد الذي فُرش خصيصًا على الأرض الممتدة من بوابة القصر الرئيسية إلى السيارة المخصصة للملك.

نظر "أحمد" بسخرية شديدة إلى رجال الملك وهم ينحنون تبجيلًا وخضوعًا للملك وإلى كم السيارات المعدة لمرافقة موكب الملك والجنود المكلفين لحراسته على الرغم من وقوع المبني الهرمي بداخل الأرض المحظورة التي تعتبر حصن حصين ضد أي هجوم أو خطر.

تحرك الموكب بهم وسار لمسافة كبيرة جدًا تتعدى العشرة كيلومترات فأحسَّ "أحمد" بالسعادة الكبيرة لذلك فقد جعل خطته تعتمد على بُعد البناء الهرمي عن مكان إقامته وإقامة "نور".

بمجرد وصول الموكب إلى المبنى الهرمي أعد "أحمد" جهازه المحمول وفتح برنامجه على عدة رسومات هندسية قام بنقلها إليه من جهاز الحاسب الرئيسي وبعد مراجعة هذه الرسومات ومطابقتها على الواقع مع المبنى الشبيه بالهرم تحرك "أحمد" ببطء إلى جهة منعزلة من الهرم ووقف أمام جزء بارز منه ثم تحرك لمسافة عدة أمتار بطريقة محسوبة بدقة ثم وقف ليتأمل جزء خفي من الجدار الواقع أمامه، ابتسم "أحمد" بسعادة بمجرد أن رأى ما يبحث عنه.

أتم "أحمد" عملية توصيل جهاز الكمبيوتر المحمول بجزء خفي من المبنى يعتبر المدخل لهذا المبني وبدأ يتعامل مع البرنامج الذي نقله من الحاسب الرئيسي لينقل شفرة الدخول إلى ما يشبه القفل

الإليكتروني، فجأة سمع "أحمد" صوت تكة معينة تنبئ بنجاح المهمة ليشاهد الجميع أمامهم مشهد خطف الأبصار مما جعلهم يقفوا جميعًا منبهرين بما فيهم الملك.

تحرك الجدار الحجري كأنه باب ينزلق بسلاسة على الأرض كاشفًا ممر طويل مغطى برخام أبيض وفوقه أضواء أضيئت بمجرد فتح الجدار تبهر عين كل من ينظر إليها.

سار "أحمد" داخل الممر ومن خلفه الملك الذي أشار لمن حوله من الجنود بتوخي الحذر والحيطة.

في نهاية الممر فوجئ الجميع بقاعة كبيرة جدًا يتوسطها جهاز ضخم نظر إليه "أحمد" والابتسامة تعلو وجهه ثم التفت إلى الملك قائلًا: هذا هو السر المخبأ منذ آلاف السنين داخل ذلك المبني.

نظر الملك بمزيج من الانبهار والجشع وهو يقول: هل تستطيع تشغيله كما ذكرت؟

صمت "أحمد" قليلًا وهو يتذكر ما قرأه من معلومات تخص ذلك الجهاز عند دخوله على ملفات جهاز التحكم الرئيسي، وكذلك تعليمات التشغيل لهذا الجهاز لكنه أخفى ذلك عن الملك ورد عليه بقوله: هذا يحتاج لبعض الوقت فلابد من دراسة هذا الجهاز دراسة متأنية لمعرفة كيفية الاستفادة منه.

تكلم الملك بانفعال شديد وهو يضحك بسعادة بالغة متخليًا عن وقاره وهيبته: لك ما شئت من الوقت، ثم تمالك نفسه عند تذكره أنه أمام جنوده فأكمل بهدوء واتزان فيه نبرة تهديد: لكن تذكر دائمًا ما ينتظرك إذا حاولت التلاعب معي.

رد ‘‘أحمد’’ وهو ينظر بتمعن إلى وجه الملك: نعم أعلم، لكن طلبي الآن هو تخصيص أحد السيارات بسائقها لنقلي إلى المبني الهرمي والعودة مرة أخرى في أي وقت أشاء ،فدراسة هذا الجهاز تحتاج لكثير من المحاولات والتنقل بينه وبين مبنى أجهزة التحكم.

رد الملك سريعا: لا بأس في ذلك، سأخصص لك ما شئت.

تنهد ‘‘أحمد’’ بارتياح شديد بعد أن شعر أن خطته تسير كما أراد.

****

ظل ‘‘أحمد’’ طوال الثلاثة أيام التي تلت دخوله المبنى الهرمي في التنقل بين المبنى والمكان الذي يحتوي أجهزة التحكم الرئيسية بالأرض المحظورة دون أن يعترض طريقه أحد حسب تعليمات الملك.

في اليوم الثالث وهو جالس في الغرفة الرئيسية يفكر في موعد تنفيذ خطته والتي اعتمد فيها علي جعل تنقله داخل الأرض المحظورة شيء معتاد لا يلفت انتباه أحد، فجأة جذب انتباهه على أحد شاشات المراقبة معركة دائرة قرب أسوار الأرض المحظورة بين جنود الملك وبعض رجال المقاومة.

فجأة نقلت الشاشة أمامه عدة مواجهات بين رجال المقاومة والجنود في أماكن متفرقة من حدود الأرض المحظورة.

أحسَّ ‘‘أحمد’’ أن اللحظة الحاسمة قد اقتربت ،ولكن ما أزعجه بشدة رؤيته سقوط عشرات من الضحايا أثناء محاولة اقتحام أبواب الأرض المحظورة نتيجة لفارق التسليح والعدد والعتاد بين رجال

المعارضة وجنود الملك المحيطين بأسوار وأبواب الأرض المحظورة من كل جانب.

أيقن "أحمد" بأن هذه هي اللحظة الحاسمة لتنفيذ خطته وضرورة التعجيل بها لإنقاذ الضحايا المتساقطين أمامه.

اتجه "أحمد" مباشرة إلى السيارة التي يجلس بداخلها الجندي المكلف بمرافقته إلى المبنى الهرمي حسب تعليمات الملك وطلب منه بصرامة نقله إلى هناك.

نظر إليه الجندي بعدم اكتراث ثم بدء التحرك بالسيارة كمن اعتاد على هذا الأمر طوال الأيام الماضية.

دخل "أحمد" بسرعة داخل البناء الهرمي محاولًا إخفاء انفعاله الشديد والذي ظهر على وجهه وهو يجلس أمام الجهاز ويتعامل معه باحترافية اكتسبها من قراءته لتعليمات التشغيل الخاصة بالجهاز والمتواجدة داخل ملفات المعلومات الموجودة على جهاز الحاسب الرئيسي.

انتهى "أحمد" من عمله ورجع إلى الجندي المنتظر بالخارج وهو يأمره بالعودة مرة أخرى إلى مكان إقامته.

****

اعتمدت خطة الأب "حامد" على حدوث عدة مواجهات بين رجال المقاومة وجنود الملك مستغلًا عامل المفاجأة الذي سيربك الجنود الذين لم يعتادوا مثل هذه المواجهات على هذا النطاق الواسع، في نفس الوقت مطلوب تحرك جميع أهل القرية إلى قصر الملك معلنين ثورتهم عليه واشتباكهم مع الحرس المحيط بالقصر تدعمهم في ذلك

بعض وحدات المقاومة التي قام "أدهم" بتدريبهم طوال الأيام السابقة على الاشتباك المباشر مع الحرس الملكي.

جلس "حامد" مع "منير" فيما يشبه غرفة قيادة الحرب وظهر التوتر واضح على وجه "حامد" وهو يقرأ التقارير المرسلة إليه من رجاله والتي تفيد سقوط الكثير من الضحايا بين صفوف المقاومة.

تكلم "منير" بإشفاق تجاه "حامد" الذي ظهر عليه التوتر الشديد والحزن قائلًا: اطمئن، الله معنا.

نظر إليه "حامد" نظرات زائغة كلها ألم وحزن بعد أن حمَّل نفسه مسؤولية سقوط هذا الكم الهائل من الضحايا فأكمل "منير" محاولًا بث القوة في قلب "حامد": لكل حرب ضحايا.

أشرقت عين "منير" بخشوع وإيمان شديد وهو يقول "لحامد": ليس لدينا الآن إلا التوجه إلى الله بالدعاء كما علَّمنا "أحمد".

نظر إليه "حامد" ودمعت عيناه بعد أن شعر بقربه الشديد من الله واحتياجه إليه ،وربما تكون هذه هي أول مرة يرفع فيها "حامد" بصره إلى السماء ويقول: يا رب.

****

جلس "أحمد" في غرفته يقرأ القرآن ويدعو الله أن يوفقه في خطته بعد أن شعر أن اللحظة الحاسمة قد اقتربت.

فجأة سمع صوت انفجار رهيب صاحبه اهتزاز شديد للمبني المقيم فيه "أحمد" فأسرع بالخروج من الغرفة بعد شعوره بأن الجزء الأكبر من الخطة قد نجح.

فوجئ ‘‘أحمد’’ بعشرات الجنود تجري في كل مكان والنيران مشتعلة بعدة أماكن والكل يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه أو النجاة بنفسه ،فقد أعقب هذا الانفجار عدة انفجارات لمخازن الوقود التي أصابتها الشظايا الناتجة عن الانفجار الأول.

وسط حالة الفوضى التي عمت المكان أسرع ‘‘أحمد’’ إلى حيث توجد ‘‘نور’’ ليجدها تجلس متقوقعة على نفسها في خوف وفزع شديد نتيجة لأصوات الانفجارات التي حدثت حولها، فجذبها ‘‘أحمد’’ وهو يهتف بها بضرورة الإسراع معه فليس لديهم وقت.

استغل ‘‘أحمد’’ حالة الفوضى التي عمت المكان وعدم وجود أي حراس أو جنود بالمكان بعد هرب الجميع واتجه مباشرة حيث توجد سيارته ولم يعترض طريقه أحد من الجنود وسط هذا الكم الهائل من الفوضى والدمار.

أدار ‘‘أحمد’’ سيارته وهرب بها بأقصى سرعة و ’’نور’’ جالسة بجواره ترتجف من الخوف والهلع بسبب ما يحيط بها من نيران ناتجة من انفجار مخازن الوقود.

انكمشت ‘‘نور’’ على نفسها وهي تنظر إلى ‘‘أحمد’’ نظرة استغاثة كأنها تطلب منه الحماية فحركت بداخله مشاعر كثيرة ،فكم تمنى في عالمه رؤية هذه النظرة في عين امرأة وطلبها للحماية منه.

أخذ ‘‘أحمد’’ يدور بسيارته داخل حدود الأرض المحظورة حتى وجد ثغرة بأحد الجدران ناتجة عن الانفجار الذي وقع ،فأسرع إلى هذه الثغرة وعبرها منطلقًا بسيارته بعيدًا.

****

بمجرد رفع ‘‘حامد’’ بصره إلى السماء وعينه ممتلئة بالدموع وقلبه ممتلئ بالخشوع شعر بارتجاج الأرض من تحته مع تصاعد عامود من النيران من داخل الأرض المحظورة يكاد يصل إلى السماء أعقبه عدة انفجارات مما جعل ‘‘حامد’’ ينظر بدهشة شديدة إلى ‘‘منير’’ وهو يقول: لابد من الإسراع لمعرفة ما حدث.

****

بمجرد ابتعاد ‘‘أحمد’’ عن حدود الأرض المحظورة توقف بسيارته ليلتقط أنفاسه التي أخذت تتلاحق بشدة كأنه قطع هذه المسافة عدوًا على قدميه وليس راكبًا لسيارته.

وجه ‘‘أحمد’’ بصره إلى ‘‘نور’’ وابتسم لها لكي يطمئنها ثم سرح بفكره بعيدًا وهو يتذكر تفاصيل خطته.

اعتمدت خطة ‘‘أحمد’’ على قدرة هذا الجهاز على توليد كمية هائلة من الطاقة تعادل الطاقة الناتجة عن عشرات الصواعق مجتمعة والتي تكفي لفتح بوابة العبور بين الأرض وهذا الكوكب البعيد مجتازة بذلك الممر الكوني.

عندما قرأ ‘‘أحمد’’ تعليمات تشغيل الجهاز وجد فيه تحذير شديد باحتمال انفجار هذا الجهاز إذا تم تشغيله بطريقة خاطئة ،وتم توضيح هذه الطريقة الخاطئة بالتفصيل في تعليمات التشغيل حتى يتجنب من يشغل هذا الجهاز الوقوع في هذا الخطأ وكان التحذير من قدرة هذا الانفجار على تدمير كل ما حوله لمسافة تتعدي العشرة كيلومترات.

بنى ‘‘أحمد’’ خطته على تشغيل الجهاز بهذه الطريقة الخاطئة لكن بعد وضع مؤقت زمني وضعه ‘‘أحمد’’ في برنامج التشغيل ليعطي لنفسه فرصة الابتعاد والهرب بعيدًا عن موقع الانفجار.

بعد ضبط الوقت رجع ‘‘أحمد’’ إلى غرفته منتظرًا نجاح الانفجار لينقذ نفسه و ’’نور’’ وسط الفوضى التي ستعم المكان.

أفاق ‘‘أحمد’’ من فكره علي صوت ‘‘نور’’ وهي تسأله بوجل وخوف: هل انتهى كل شيء؟

التفت ‘‘أحمد’’ إليها بتردد فهو نفسه لا يعرف هل انتهت أسطورة الأرض المحظورة أم لا؟ لكنه رغمًا عنه ابتسم في وجهها ليبث الطمأنينة بداخلها وهو يقول: إن شاء الله.

لفت انتباه ‘‘أحمد’’ أثار لمعركة تدور من بعيد وأيقن أنها بين جنود الملك ومقاتلي المقاومة وفكر في الاشتراك في القتال معهم لكنه أحجم عن ذلك فهو لم يتشاجر يومًا مع أحد من زملائه في الدراسة فكيف به يشارك في حرب طاحنة مثل هذه ؟كما أن خوفه من فقدان ‘‘نور’’ مرة أخري جعله يفضل متابعة الموقف من بعيد على الاشتراك المباشر في القتال.

فجأة سمع ‘‘أحمد’’ من بعيد صيحات النصر تنطلق من حناجر رجال المقاومة وأعلامهم ترتفع علامة الانتصار في هذه المعركة الصغيرة فابتسم في سعادة وانطلق بسيارته إلى مكان المعركة.

****

فوجئ رجال المقاومة بسيارة لها شكل مختلف عما هو مألوف في عالمهم ،فوقفوا بتحفز مستعدين لأي مواجهة، لكنهم بمجرد رؤيتهم ''لأحمد'' بداخلها انطلقت صيحات السعادة من حناجرهم.

تلقى المقاتلين ''أحمد'' بالتهاني والأحضان معربين عن سعادتهم بنجاته.

انطلق ''أحمد'' مع بعض أفراد المقاومة إلى حيث يوجد الأب ''حامد'' في حين ظل باقي أفراد المقاومة للسيطرة على الموقع الذي حدثت فيه المعركة.

****

شاهد ''حامد'' من بعيد الانفجار الذي حدث داخل الأرض المحظورة و بمجرد رؤيته لهذا الانفجار شعر بأن الله استجاب لدعائه وأن هذا الانفجار سيكون في صالح رجالهم.

أسرع ''حامد'' مع ''منير'' للخارج لمعرفة خبر هذا الانفجار وتحري الأمر.

****

بمجرد وقوع هذا الانفجار عمت الفوضى داخل الأرض المحظورة وساد الهرج والمرج بين جنود الملك مما أعطى رجال المقاومة الأمل في النصر.

مع الانفجارات المتلاحقة سقط كثير من جنود الملك صرعى، وكذلك تهاوت أجزاء كثيرة من الجدران المحيطة بالأرض المحظورة مما مكَّن رجال المقاومة من اقتحام هذه الأرض والسيطرة

عليها بعد أن دبَّ اليأس في قلوب الجنود برؤيتهم تهاوي قلعتهم التي ظنوا لسنوات طويلة باستحالة سقوطها.

في نفس الوقت ومع حالة الفوضى الشديدة والثورة التي اشتعلت في كل أرجاء المملكة لم يستطع الملك السيطرة على الموقف خاصة بعد فقده الاتصال بجنوده الذين أصابهم الرعب والفزع ،فكان اقتحام القصر هين على رجال المقاومة و أفراد الشعب الثائر.

تلقى "حامد" بسعادة بالغة أنباء الانتصارات المتعاقبة لرجال المقاومة على مختلف الجبهات ،واقتحام القصر الملكي وسقوط الظلم الذي طال لسنوات وسنوات.

من بعيد تعالت الهتافات في موكب مهيب يقترب من مكان تواجد الأب "حامد" تسير في هذا الموكب سيارة "أحمد" و أهل القرية يحيطون بها من كل جانب بعد أن علموا أن "أحمد" هو الذي أحدث هذا الانفجار العظيم الذي أسقط الأرض المحظورة.

استقبل "حامد" موكب "أحمد" بمزيج من السعادة والفخر واحتضن "أحمد" بشدة، ثم نظر في وجهه بتمعن وهتف بأعلى صوته: الله أكبر، فردد خلفه كل أفراد القرية نفس الهتاف بحماسة وقوة.

****

في اليوم التالي لهذه الأحداث جلست "نور" منعزلة تفكر في حال والدها وسط كل هذه المعارك التي دارت وتساءلت فيما بينها هل مازال على قيد الحياه أم قتل؟.

اتجه "أحمد" إليها وفي نفس الوقت سار "حامد" إلى المكان الذي تجلس فيه "نور" ليخبرها بنبأ مهم جدًا بالنسبة لها.

التقى ‘‘أحمد’’ مع ‘‘حامد’’ في نفس مكان تواجد ‘‘نور’’ فبادر ‘‘حامد’’ بإلقاء التحية على ‘‘أحمد’’ ثم تكلم معه قائلًا: لله الحمد، لقد سيطر رجالنا على كل المواقع الهامة خاصة قصر الملك ،فسأله ‘‘أحمد’’ باهتمام: وماذا فعل الملك؟

فردَّ ‘‘حامد’’ بتأثر: عندما علم بانهيار مملكته وسقوط الأرض المحظورة فضَّل إنهاء الأمر بقتل نفسه وإنهاء حياته بيده على أن يسقط في أيدي رجال المقاومة.

زفر ‘‘أحمد’’ من صدره زفرة حارة وهو ينظر إلى ‘‘حامد’’ الذي أكمل وهو ينظر في عيني ‘‘أحمد’’: لقد اجتمعت كلمة قادة المقاومة على تنصيبك ملك عليهم.

نظر إليه ‘‘أحمد’’ بدهشة شديدة، ثم ابتسم قائلًا بتواضع: أنا لا أصلح لهذه المهمة العظيمة، كما أن لدي أمور أهم من ذلك لابد أن أفعلها.

نظر إليه ‘‘حامد’’ بدهشة شديدة مستفهمًا عن ذلك فأخرج ‘‘أحمد’’ من حقيبة جلديه يحملها في يده بحرص شديد كتاب فتحه أمام ‘‘حامد’’ قائلًا هذا كتاب الله عز وجل أحضرته من سيارتي وسأقوم بنسخه عشرات النسخ وتوزيعها على الناس حتى يحفظوا كتاب الله ويفهموا أمر دينهم الذي اعتنقوه واقتنعوا به.

ثم أكمل ‘‘أحمد’’ كلامه وهو يضع يده على كتفي ‘‘حامد’’ بحب شديد واحترام قائلًا: كما أني على يقين بأن القائد الذي قاد الشعب لسنوات طويلة هو القادر على حكم البلاد بالعدل، ثم أكمل كلامه وهو يبتسم في وجه "حامد" قائلًا: والناس هنا يعرفون جيدًا من يصلح لحكمهم.

ابتسم له ‘‘حامد’’ بامتنان شديد ثم التفت إلى ‘‘نور’’ قائلًا: هناك أمر هام يخصك يا ‘‘نور’’.

انتبهت ‘‘نور’’ لكلامه الذي قطعه صوت سيارة تأتي من بعيد فالتفت ‘‘حامد’’ للسيارة وهو يبتسم بسعادة قائلًا وهو يشير إليها: هذا هو الأمر الذي أردت أن أخبرك به.

التفتت ’’نور’’ و ‘‘أحمد’’ باهتمام شديد إلى السيارة التي وصلت وخرج منها رجل تبدو على وجهه علامات التعب والإعياء الشديد.

بمجرد رؤية ‘‘نور’’ لهذا الرجل أسرعت إليه وهي ترتمي بين يديه و تبكي بحرقة شديدة مما جعل ‘‘أحمد’’ يلتفت إلى ‘‘حامد’’ مستفهمًا منه فردَّ ‘‘حامد’’ بتأثر شديد: هذا والد ‘‘نور’’ وجده رجالنا في أحد سجون الملك.

اتجه ‘‘أحمد’’ و ’’حامد’’ إلى والد ‘‘نور’’ الذي بدت عليه علامات الدهشة وهو يرد على تحية ‘‘أحمد’’، فتكلم ‘‘حامد’’ قائلًا هذا ‘‘أحمد’’ صاحب الفضل الأكبر في انتصارنا على الملك ،كما أنه هو الذي أنقذ ‘‘نور’’ من قبضة الملك.

نظر إليه والد ‘‘نور’’ بامتنان شديد وهو يقول: لقد أخبرني الرجال في الطريق بكل ما حدث.

نظر ‘‘أحمد’’ إلى ‘‘حامد’’ بخجل شديد كأنه يطلب منه الكلام نيابة عنه فابتسم ‘‘حامد’’ ابتسامة أبويه كمن فهم مقصده وهو يقول: ‘‘أحمد’’ له طلب عندك.

نظر والد ‘‘نور’’ إلى ابنته كمن فهم مقصد ‘‘حامد’’ فوجد ابنته تنظر إلى الأرض خجلًا وعلى وجهها شبح ابتسامه فالتفت إلى ‘‘أحمد’’

وهو يبتسم في وجهه الذي أضاء من السعادة وهو ينظر إلى ‘‘نور’’ بحب شديد وفرح .

تركهم ‘‘حامد’’ وتوجه بنظره إلى الجبال الشاهقة المحيطة بالمكان ووقف يفكر بعمق شديد في الحمل الثقيل الملقى على عاتقه ،ثم أطلق زفرة قوية من صدره ملتفتًا إلى ‘‘أحمد’’ و ’’نور’’ وعلى وجهه ابتسامة كبيرة.

تمت بحمد الله

لمتابعة الكاتب صلاح زكي على الفيسبوك:

E-mail: engsalah437@gmil.com

المدونة الشخصية: salahzaki437.blogspot.com

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023

@جميع حقوق النشر محفوظة ل

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

٠١١١٢٣٥٧٤٧٣